بقلم وفاء

وعود لن تنسى

الكاتبة:
وفاء بن عمور
المغرب

الاهداء

إلى أصدقائي، الذين يشاركونني الأفراح والأحزان، وإلى والديّ اللذين كانا دائمًا مصدر قوتي، وإلى القراء الذين يفتحون قلوبهم لعالمي، آمل أن تجدوا في هذه الصفحات صدى لتجاربكم.

تقديم

رواية "وعود لن تنسى" موجهة إلى أولئك الذين يحرصون على الوفاء بالوعود التي قطعوها، سواء لعائلاتهم أو أصدقائهم أو حتى لأنفسهم. هؤلاء الأفراد الذين يثبتون على مبادئهم رغم الصعوبات والتحديات، يظلون شامخين في وجه الأزمات. تبقى تلك الوعود جزءًا لا يتجزأ من حياتهم، تحمل في طياتها ذكريات وتجارب لا تُنسى.

-

استيقظتُ في صباح باكر كعادتي، وكان الجو يبعث في النفس سكينة وجمالًا. المطر يتساقط بهدوء، والنسيم العليل يتسلل إليّ، مما جعلني أشعر بشعورٍ من القوة والتفاؤل. استمتعتُ بشبابي، وتساءلتُ بيني وبين نفسي كيف يمكنني أن أعيش كل لحظة من دون أن أفوت فرصة من الفرص التي تحمل في طياتها سعادة وطموحًا لا ينضب.

قررت في هذا اليوم أن ألتقي بصديقي أحمد، أحد أقرب أصدقائي وأعزهم. إنه طبيب، وكان حلمه منذ صغره أن يصبح كذلك، وحلمي معه كان مشتركًا. لطالما حلمنا معًا أن نصبح أطباء، وها

نحن الآن نحقق حلمنا بكل جهد وإرادة، نسعى جاهدين لمساعدة كل مريض يأتي إلينا. إذا كان لديك حلم، فلا تتردد في النضال من أجل تحقيقه، فما من شيء مستحيل عندما يكون الإيمان به قويًا.

ليس لدي الكثير من الأصدقاء المقربين، فالمنحُ بثقةِ القلب أمرٌ يتطلب زمنًا طويلًا، لكن أحمد كان شخصًا استثنائيًا. كان مليئًا بالبهجة والمرح، لا يتوانى عن إلقاء النكات حتى وإن كانت سخيفة، لكن ملامح وجهه الجميلة وشعره الأسود الأملس، إضافة إلى بنيته القوية، جعلته محط إعجاب الجميع.

اليوم قررت أن ألتقي به قبل مغادرتي إلى الخارج بأسبوع واحد. كان من الصعب عليّ أن أترك وطني وأهلي، وأعيش بعيدًا عن عمتي ووالدي،

وصديقي أحمد، الذي كان دومًا يمدني بالدعم في الأوقات الصعبة. أحمد، أنت بالفعل شخص رائع.

وصلت إلى منزل صديقي، ولكن قبل أن أدخل، بادرت بالاتصال به لأتأكد إذا كان في المنزل. كان ذلك حياءً مني، ليس من اللائق أن أدخل منزلًا إلا إذا كان أحد الرجال حاضراً، على الرغم من أن عائلة أحمد تعتبرني جزءًا لا يتجزأ منها.

استقبلتني عائلته بحرارة، وكأنني أحد أفرادها. لم يمضِ وقت طويل حتى شعرت بالراحة والدفء الذي يملأ المكان، وسط ضحكات الأطفال التي تعكس الفرح والسعادة. في تلك اللحظات، أدركت ما معنى كلمة "عائلة".

"كيف حالك يا أحمد؟ لم نلتقِ منذ زمن بعيد!"

"الحمد لله، صديقي. بالفعل، لقد مضت فترة طويلة على آخر لقاء لنا."

"جئت فقط لأراك قبل مغادرتي إلى الخارج."

"أه، هل ستغادر هذا الوطن؟ هل ستترك عائلتك؟"

"نعم، أشعر بحزنٍ كبيرٍ لفراق عائلتي ووطني، لكن هذه هي الحياة، وأنت تعرف السبب وراء سفري."

"اصبر يا ياسر، توكل على الله، وكل شيء سيكون على ما يرام."

بعد مغادرتي منزل أحمد، كانت هناك نغمة من الحزن تملأ قلبي. ربما كانت تلك هي المرة الأولى التي أشعر فيها بهذا الشعور العميق. لا أستطيع أن أصف لك كيف كان ذلك الشعور، لكنه كان جديدًا بالنسبة لي. أحمد محظوظ لكونه محاطًا بعائلة تهتم به وتدعمه. ورغم أن عائلته تحبني وتتمنى لي كل الخير، وأنا أيضًا أحبهم، فقد عرفتهم منذ كنت في السنة الثالثة من المدرسة الابتدائية.

ولكن، ما يزيدني تأملًا هو قيمة الأم وما تقدمه لأبنائها من تضحيات لا يمكن أن توصف. لماذا أفكر في أشخاص لا يستحقونني؟ ولكن الآن، لدي عمّة تحبني وترعاني. عمتي التي تكفلت بتربيتي بعد طلاق والدي، وقد كانت دائمًا تعتبرني كابنها رغم أنها لم تنجب. وقد أحببتها وأعتبرها أمي الثانية.

زوج عمتي كان دائمًا بجانبي، يقدم لي كل شيء في حياته. ورغم أن أحمد محظوظ جدًا، إلا أنني أيضًا محظوظ بوجود أبي الذي يساندني في كل خطوة، وعمتي التي ربتني منذ طفولتي حتى الآن. كان أبي مشغولًا جدًا في عمله، وكان يزورنا فقط في عطلة نهاية الأسبوع. والآن، كيف لي أن أغادر وأترك هؤلاء الذين أحبهم: عمتي، وزوج عمتي، وأبي ؟

قررت أن أخرج في نزهة لتخفيف آلامي، لكن عدة أسئلة بدأت تتشكل في ذهني. لا أعرف لماذا أرادت عمتي أن أذهب إلى الخارج. في الحقيقة، أريد أن أبقى هنا وأمارس عملي في وطني، بجانب الأشخاص الذين أحبهم. ولكن لا أستطيع الاعتراض، فهناك سبب قوي يدفع عمتي لفرض هذا القرار عليّ.

وأثناء نزهتي، تلقيت مكالمة من أحمد. تحدثنا عن المستقبل، وكعادته، كان يدعمني بكلماته الطيبة. قال أحمد: "يا ياسر، سأكون دائمًا بجانبك، حتى وإن كنت بعيدًا. لا تقلق، أنا هنا إذا احتجت إلى أي شيء. أعلم أنك ستذهب إلى بلد مختلف وتقاليده ليست كبلدنا، لكن أدي عملك بإتقان وحاول التأقلم مع الظروف هناك. واتصل بي في أي وقت."

كلماته أشعرتني بالاطمئنان ومنحتني القوة التي أحتاجها. قررت أن أواجه المستقبل بشجاعة، رغم الصعوبات والمشاكل التي قد تنتظرني. بدعم الأشخاص الذين أحبهم، سأتمكن من تخطي كل شيء. كانت تلك اللحظة من أهم لحظات حياتي. أدركت أن وجودنا مع أشخاص نحبهم يجعلنا لا نهتم بكلام الآخرين، بل يعطينا القوة لتحقيق أحلامنا.

عندما عدت إلى المنزل، استقبلتني عمتي الحنونة بابتسامتها المشرقة وقلبها الأبيض الذي ينعكس على وجهها. كانت دائمًا تسعى لرؤيتي سعيدًا، وتضحي بالكثير من أجل راحتي. أعدت لي وجبتي المفضلة، وكنت أعلم أنني سأفتقد طعامها الشهي ولمستها الحنونة، وابتسامتها الجميلة.

"ابني ، اشتقت إليك."
"عمتي ، لقد كنت فقط أتجول قليلًا بعد مغادرتي منزل أحمد. كيف اشتقتِ لي بهذه السرعة؟"

"وكيف لا أشتاق إليك؟ أليس من حقي؟" (ردت بحنان)
"بلى، يا عمتي، لديك الحق."

"هذا هو الكلام الصحيح."

ساد المكان جو من الضحك والدفء. كنت أتأمل ضحكة عمتي التي تملأ قلبي بالسعادة، لكن في داخلي كان هناك سؤال يشغل بالي ،لماذا لم تسأل أمي عني ولو لمرة واحدة؟ ألا تريد أن تعرف كيف أصبح ابنها؟ لماذا تركتني؟ أليس ابنها؟ كانت

تلك الأسئلة لا تفارق ذهني ، لكنها تختفي أمام ضحكة عمتي الصادقة.

دخلت غرفتي لأستلقي وأرتاح، فقد كان يومًا طويلًا. وفجأة، سمعت صوتًا مخيفًا يخترق أذني. كان صوت عمتي تناديني بصوت عالٍ. شعرت بالفزع ولم أفهم ما يحدث. سمعتها تكرر اسمي مرات عديدة، فقفزت من سريري وخرجت مسرعًا لمعرفة السبب .رأيت عمتي جالسة على الأريكة، جسدها يرتجف وملامحها مليئة بالقلق والتوتر. عيناها تحملان نظرة تنذر بوقوع مصيبة كبيرة.

"يا ياسر، يا ابني، حدث أمر خطير. وصلتني رسالة من المستشفى... والدك هناك، حالته حرجة جدًا."

توقفت للحظة، وبدأت أفهم سبب صرخات عمتي واضطرابها. تمنيت حينها لو أنني مجرد شخص بلا عقل، لا يدرك هذه المواقف. لكنني قررت أن أتماسك، أُظهر القوة، ليس فقط من أجلها بل من أجلي أيضًا. رغم ذلك، كانت عيناي تفضحان مشاعري، وقلبى يتمزق وهو يحاول استجماع كلماته:

"عمتي، ارجوكِ، اهدئي وانظري إلي. أبي سيكون بخير بإذن الله، أنا واثق بذلك. أبي رجل قوي وشجاع، ولا شيء سيهزمه. لنفكر بإيجابية ونترك المخاوف جانبًا الآن. علينا التوجه إلى المستشفى فورًا لنفهم الوضع عن قرب. كل شيء سيكون على ما يرام إن شاء الله."

عندما وصلنا إلى المستشفى ورأيت أبي في تلك الحالة، شعرت بصدمة لا يمكن وصفها. كان في وضع حرج، وأخبرنا الطبيب بأنه في غرفة العمليات وأن العملية معقدة. رغم الألم والخوف الذي أصابني ، كان إيماني بالله أقوى. كنت مؤمنا أن الأمور ستنتهي بخير، وأن أبي سيعود لنا كما كان، يمنحني نصائحه ويدعمني. ومع ذلك، لم أستطع إخفاء ضعفي عند رؤية عمتي محطمة.

اتصلت بأحمد، صديقي المقرب، ليكون بجانبي في هذا الموقف. جاءت استجابته سريعة، ولم يأتِ وحده، بل رافقته عائلته أيضًا. وقفت عائلته إلى جانبنا في هذا اليوم العصيب، وقدّموا دعمًا لا يُنسى في تلك اللحظات التي لا يمكن وصفها.

مرّ أسبوع على الحادثة، وتعافى أبي والحمد لله. كان ذلك بفضل الله ورحمته. شعرت بعد ذلك أن عمتي ترغب في أن أسافر للخارج، رغم أنني لا أريد تركهم، خاصة بعد حادثة أبي التي كشفت لي كم أنا بحاجة إليهم، وهم بحاجة إلي.

في مساء ذلك اليوم، جلستُ بجانب أبي في حديقة المنزل. كان الهواء عليلًا، وصوت العصافير يملأ المكان بهدوء مريح. نظرتُ إليه، كان يبدو متعبًا لكنه أكثر إشراقًا، وكأن المرض لم يترك أثرًا في قلبه القوي.

تنهد أبي بعمق وقال: "ياسر، بني، اجلس بجانبي."

اقتربتُ منه، فمدّ يده وربت على كتفي بحنان.

"أعلم أن ما حدث كان صعبًا عليك، لكنك كنت قويًا، وهذا ما كنتُ دائمًا أتمناه لك."

خفضتُ نظري إلى الأرض وقلت بصوت خافت: "أبي... لقد خفت كثيرًا، لم أكن مستعدًا لرؤيتك بتلك الحالة. شعرت بالعجز، ولأول مرة أدركت كم أنت مهم في حياتي."

ابتسم أبي ابتسامة هادئة وقال: "يا بني، الحياة تعلمنا أن القوة ليست في إخفاء مشاعرنا، بل في مواجهتها. لقد كبرتَ وأصبحتَ رجلًا يعتمد عليه في المستقبل."

رفعتُ عيني إليه مترددًا، ثم قلت: "لكن أبي، ماذا لو سافرتُ؟ أشعر أنني سأخذل الجميع... أنت، عمتي، وحتى نفسي."

تغيرت ملامح وجهه قليلًا، ثم قال بصوت هادئ : "اسمعني جيدًا، ياسر. لم أُرد يومًا أن أفرض عليك طريقك في الحياة، لكنني أريدك أن تفكر جيدا . انه ليس إجبارًا. إن كنت تشعر أن قلبك هنا، فابقَ، وإن كنت ترى أن هناك طريقًا ينتظرك في الخارج، فاذهب. لكن لا تدع الخوف هو من يقرر عنك. تعلم أن عمتك لم تفعل أي شيء عبثا ، بل لديها سبب قوي ."

شعرت بكلماته تتغلغل في أعماقي، تمنحني شعورًا بالأمان، وتدفعني للتفكير بعقلانية. أجبته: "أعدك

يا أبي أنني سأتخذ قراري بقلب مطمئن، ولن أخذلك أبدًا."

ربت على يدي وقال: "أنا أثق بك، ياسر."

في تلك اللحظة، أدركت أن القرار الذي سأختاره لن يكون مجرد خطوة نحو المستقبل، بل سيكون نقطة تحول في حياتي كلها.

كنت جالسا في غرفتي ، غارقا في أفكاري ، حينما فتح الباب بهدوء . التفت لأجد عمتي تقف عند الباب ، تحمل في عينيها نظرة تخفي خلفها الكثير . تقدّمت عمتي بخطوات هادئة نحو السرير وجلست بجانبي، ثم تنهدت قليلًا قبل أن تقول بصوت دافئ:

"ابني ياسر، أريد أن أتحدث معك قليلاً عن سفرك إلى الخارج."

رفعت عيني نحوها، كنت أعرف ما الذي تحاول إيصاله، لكنني لم أشعر أن الوقت مناسب لهذه المحادثة الآن.

"أعرف ما تقصدينه يا عمتي، ولكن أعتقد أنه لا يزال الوقت مبكرًا للتفكير في السفر. الآن كل ما يشغلني هو صحة أبي."

ابتسمت عمتي برفق وقالت:

"أعلم ذلك، ولكن صحة أبيك بخير. فكّر في نفسك قليلاً وفي مستقبلك."

صمتُّ للحظات، ولكن بداخلي كان هناك سؤال لم أستطع تجاهله:

لماذا تريد عمتي مني أن أغادر بأسرع وقت؟
أشعر أن هناك شيئًا يجعلني أبقى، لا أعرف ما هو هذا الإحساس. إنه شعور غامض يمنعني من المغادرة. ومع ذلك، سأذهب من أجلها.

وبعد تفكير طويل، قررت أن أترك المكان وأستمع لكلام عمتي دون أن أنظر إلى الخلف. بدأت أستعد للذهاب، جمعت ملابسي وحقائبي، وكل لحظة كنت أشعر أنني أبتعد أكثر عن كل شيء أعرفه.

وقفت أمام عمتي، نظرتُ إليها بحزن وقلت:

"عمتي، سأغادر الآن، سأترك وطني. ألا تريدين أن تضميني؟ ألا ستشتاقين إليّ؟"

اقتربت مني ومسحت على رأسي كما كانت تفعل عندما كنت صغيرًا، ثم قالت بحنان:

"يا ابني، بالطبع سأشتاق إليك. هل هناك أم لا تشتاق لابنها؟ حضنتك بين يديّ عندما كنت صغيرًا ، وسأشتاق إليك كثيرًا. اهتم بنفسك، وكل جيدًا، ونم جيدًا."

ابتسمتُ رغم الحزن الذي كان يملأ صدري، وقلت ممازحًا:

"عمتي، قلتِ كلمة 'جيدًا' كثيرًا! فهمت الرسالة. سأهتم بنفسي، وسأكل جيدًا، وأنام جيدًا. لا تقلقي."

لم يكن ذلك يومًا عاديًا بالنسبة لي، كان من أصعب الأيام التي مررت بها. كيف أترك وطني وأشخاصًا أحبهم؟ العائلة تجعل الإنسان قويًا، ورغم ابتعادي عنهم، سيظلون دائمًا في قلبي، وسأكون أقوى من أجلهم.

عند وصولي إلى المطار، كان الجو مكتظًا للغاية، وشعرت أنني بالفعل ذاهب إلى مكان غريب لا أعرفه. وبينما كنت أفكر، اصطدمت بفتاة وسقط هاتفها. كانت فتاة جميلة، بشرتها ناعمة وعيناها تتألقان بلمعة خاصة. شعرها طويل ولامع، وابتسامتها كانت لطيفة ومشرقة، تضفي على وجهها سحرًا خاصًا. كانت ملامحها هادئة ومريحة للنظر، تجذب الأنظار بدون مبالغة.

بدت خائفة جدًا. وعندما انحنيت لالتقاط الهاتف، ركضت فجأة وسط الزحام. لم أستطع اللحاق بها، واختفت بين الحشود.

راودتني أسئلة كثيرة:

لماذا ركضت مسرعة؟

كيف تركت هاتفها؟

هل حدث معها شيء؟

لكن السؤال الأكبر كان: لماذا أشعر بالاهتمام بها؟

وضعت الهاتف في جيبي وقررت أن أكمل طريقي إلى بوابة المغادرة، لأتفاجأ بأن طائرتي قد غادرت بالفعل. يا له من يوم!

بصراحة، لم أستطع التوقف عن التفكير في الفتاة وهاتفها. هل يجب أن أحاول العثور عليها؟ ولكن كيف؟ لا أعرف اسمها ولا أين تعيش.

بدأت أُفحص الهاتف، على أمل أن أجد شيئًا يدلني عليها. فتحت الهاتف ووجدت صورة لها مع عائلتها. بدت سعيدة للغاية بجانب أسرتها. هذه الصورة جعلتني أقرر أن أبحث عنها وأعيد الهاتف لها.

خرجت من المطار بعد فوات طائرتي، واتصلت بعمتي، لتتفاجأ بما حدث.

بعد أن خرجت من المطار، استنشقت الهواء العليل وشعرت ببرودة المساء تلفح وجهي.

وصلت إلى المنزل، كانت الأضواء لا تزال مضاءة، وكأن الجميع كان ينتظرني. دخلت بهدوء، لأجد أبي وعمتي يجلسان في الصالة. ما إن وقعت عينا عمتي عليّ حتى تغيرت ملامحها، كانت نظرتها غاضبة، بينما أبي، على عكسها تمامًا، لم يظهر أي ردة فعل صاخبة، فقط نظر إليّ بهدوء كعادته.

"لقد عدت؟" قال أبي بصوت هادئ، وكأنه لم يتفاجأ.

أما عمتي، فنهضت من مكانها وقالت بحدة:
"ياسر! هل يمكنك أن تشرح لي لماذا لم تسافر؟ ما الذي حدث؟"

نظرت إليها مطولًا، ثم قلت بهدوء: "لقد فاتتني الطائرة، هذا كل شيء."

لم تقتنع بإجابتي، لكن أبي لم يضغط عليّ أكثر، بل اكتفى بالنظر إليّ ثم قال: "لا بأس، ربما كان في ذلك خير."

كانت نظرات عمتي حادة، لكنني لم أرغب في الحديث أكثر، شعرت أنني بحاجة إلى البقاء وحدي لبعض الوقت، فذهبت إلى غرفتي مباشرة.

جلست على سريري، نظرت عبر النافذة إلى السماء المظلمة، كانت النجوم تتلألأ بشكل جميل، وكأنها تهمس لي بأشياء لا أفهمها. تنفست بعمق، أغمضت عيني للحظة، ثم فجأة...

رن الهاتف.

نظرت إلى الشاشة، كان المتصل يظهر باسم "صديقتي نور". رددت على الهاتف بسرعة

"مرحبا"

نور: (بصوت متردد) آه... من معي؟

"أنتِ من اتصل، من أنتِ؟"

"اسمي نور، أنا صديقة تارا. هذا رقمها، أليس كذلك؟ من أنت؟ ولماذا ترد على هاتفها؟"

" نعم، وجدت الهاتف في المطار بعدما سقط منها، لكنها اختفت قبل أن أتمكن من إعادته."

نور(بقلق) : سقط منها؟ متى؟ وأين؟

"في صالة المغادرة. حاولت اللحاق بها لكنها ركضت واختفت بين الحشود."

نور(بهمس): يا إلهي...

"هل كل شيء بخير؟ هل يمكنني إيصال الهاتف لها؟"

نور (بعد صمت قصير): أين يمكننا أن نلتقي؟ أريد استعادة الهاتف.

" غدًا عند الساعة الرابعة مساءً، في المقهى المقابل لمحطة القطار."

نور: حسنًا، سأكون هناك.

—-

في اليوم التالي، توجهت إلى المقهى في الموعد المحدد. اخترت زاوية هادئة وجلست أراقب الداخلين والخارجين، متسائلًا عما إذا كانت ستأتي حقًا. لم يمضِ وقت طويل حتى رأيتها تتجه نحوي بخطوات مترددة، تنظر حولها وكأنها تبحث عن

شخص ما. كانت ترتدي معطفًا رماديًا، وشعرها منسدلًا على كتفيها.

"هل أنتِ الفتاة التي اتصلت بي أمس؟" سألتها مباشرة.

أومأت برأسها وقالت بتوتر طفيف: "نعم، أنا نور. وأنت ياسر، صحيح؟"

"صحيح." أخرجت الهاتف من جيبي ووضعته على الطاولة أمامها. "هذا هو هاتف صديقتك." راقبتها للحظة، لاحظت أنها تجنبت النظر مباشرة إلي، وكأنها مترددة في الحديث. أخيرًا، مدت يدها وأخذت الهاتف بسرعة، وكأنها كانت تنتظره بفارغ الصبر.

"شكرًا لك، هذا الهاتف يعني الكثير لصديقتي." قالت بصوت هادئ، لكنها بدت متوترة وهي تفتح الهاتف فورًا، تبحث عن شيء ما.

راقبتها وهي تتصفح الصور بسرعة، وكأنها تخشى أن يكون شيء قد اختفى. لاحظت نظرة القلق على وجهها، وكأنها تريد التأكد من بقاء شيء مهم داخل الهاتف.

"هل تبحثين عن شيء محدد؟" سألتها، محاولًا فهم ما يجري.

توقفت للحظة، ثم أغلقت الشاشة وقالت بصوت منخفض: "لا شيء... فقط أردت التأكد من أن كل شيء لا يزال هنا."

"ممكن أسألك لماذا لم تأتِ صديقتك بدلًا عنك بما أن الهاتف لها؟ ولماذا كانت مسرعة؟"

ترددت نور للحظة قبل أن تجيب، وكأنها تبحث عن الكلمات المناسبة. نظرت إليّ بعيونٍ مليئة بالقلق وقالت:

"تارا لا تتحدث مع الأشخاص الذين لا تعرفهم. لا تفضل التعامل مع الغرباء، وخصوصًا في مواقف مثل هذه. من الصعب عليها الثقة بأي شخص، حتى لو كان الموقف بسيطًا مثل استعادة هاتفها. أنا فقط أردت أن أكون من يتعامل مع هذا بدلًا منها."

كان حديثها يثير فيّ فضولًا أكبر. شعرت أن هناك شيئًا غامضًا حول تارا، شيئًا لم تُخبرني عنه نور بعد. لكنني قررت أن أحترم خصوصيتها، فقلت:

"أفهم، يبدو أن لديها سببًا وجيهًا لذلك. أنا سعيد أنني تمكنت من مساعدتكما."

—

رجعت إلى المنزل لتغيير ملابسي، ثم توجهت إلى المستشفى بعدما تأجلت رحلتي إلى وقت لاحق. عند وصولي إلى المستشفى، شعرت بشيء من التوتر، ليس بسبب المكان، بل لأنني كنت أواجه يومًا طويلًا مليئًا بالضغوط والتحديات. لكن عملي كطبيب هو ما يجعلني أركز وأبتعد عن أي مشاعر أو تفكير قد يعيقني.

عند دخولي قسم الطوارئ، كان الوضع كما هو عليه دائمًا. أصوات الأجهزة الطبية في الغرف المجاورة، والهمسات بين الممرضات والممرضين، والجري المتواصل لحالات الطوارئ التي تتطلب العناية الفورية. على الرغم من كل هذا الصخب، كان علي أن أبقى هادئًا، لأن كل ثانية هنا قد تكون حاسمة.

الطبيب في هذا المكان لا يملك رفاهية التردد أو القلق. كنت أعلم أن حياتي المهنية تستدعي مني أن أكون في قمة تركيزي. المشاعر الخاصة يمكن أن تنتظر، لأن الأطباء ليس لديهم خيار سوى تقديم أفضل ما لديهم في أصعب اللحظات. ربما يبدو الأمر بعيدًا عن الدفء الإنساني في بعض الأحيان، لكن الحقيقة هي أن حياة الناس بين يديك،

وعليك أن تكون قويًا، صلبًا، ومستعدًا لاتخاذ القرارات التي قد تغير مصيرهم.

أثناء عملي، مررت بعدد من الحالات التي تحتاج إلى تدخل سريع، من الإصابات الطارئة إلى الحالات الطبية الحرجة. كنت أتعامل مع المرضى وكأنني لا أملك مشاعر خاصة، لكن في داخلي كنت أعرف أن هذا هو ما يجب أن أفعله. أن أكون هذا الشخص الذي يبذل أقصى ما لديه لإنقاذ الأرواح.

الطبيب هنا ليس مجرد شخص ذو شهادة أو علم، بل هو الشخص الذي يكون حاضرًا عندما تكون الحياة على المحك. لا مجال للضعف، ولا مجال للانسحاب. كنت أعمل في صمت، أراقب كل

حركة، أعدّ كل خطوة، لأن كل قرار يمكن أن يكون الفرق بين حياة وموت.

المستشفى هو المكان الذي يجب أن تركز فيه كل طاقتك. هنا لا يوجد وقت للتفكير في مشاعرك الخاصة أو في الأشياء التي يمكن أن تشغلك عن عملك. وكنت أعلم أن ذلك هو ما يميز الطبيب الحقيقي: القدرة على الحفاظ على التوازن بين الرغبة في مساعدة الآخرين وبين الإصرار على الاستمرار في تحقيق أهدافك المهنية مهما كانت الظروف.

بعد أن انتهيت من عملي في المستشفى، قررت التوجه إلى لقاء أحمد. كنت قد تلقيت عدة مكالمات منه طوال اليوم ليطمئن إذا كنت قد وصلت أم لا.

ورغم كل ما مررت به، كنت بحاجة إلى لقاء صديقي.

عندما وصلت إلى المكان الذي اعتدنا أن نلتقي فيه منذ طفولتنا، وجدته ينتظرني بقلق، وقال:

"أخيرًا! كنت أتصل بك طوال اليوم، لماذا لم ترد؟"

أجبت بابتسامة متعبة:

"أنا هنا الآن، لم أغادر كما كنت تظن. كنت مشغولًا في المستشفى طوال اليوم. كان يومًا طويلًا، لكنني الآن بحاجة لبعض الراحة، يا أخي."

جلسنا معًا، وبدأت أتحدث معه عن كل شيء، وكيف أنني كنت أواجه الكثير من الضغوط في العمل. لكن هناك شيء آخر كان يشغل تفكيري، وهو موضوع تلك الفتاة التي تم العثور على هاتفها في المطار. كان من الغريب أن حياتي بدأت تأخذ مسارًا مختلفًا بفضل حادثة صغيرة مثل هذه.

قلت لأحمد:
"أحمد، اليوم كان غريبًا. تذكرت تلك الفتاة، صاحبة الهاتف الذي وجدته في المطار. كان أمرًا غير متوقع أن حياتي تتداخل مع حياة أشخاص غرباء بسبب شيء بسيط مثل هذا. التقيت بنور، صديقة الفتاة، وتحدثت معها عن الهاتف، ولكن شعرت بشيء غريب. كانت متوترة ومتحفظة عند

الحديث، وهذا جعلني أفكر في شيء أكبر مما كنت أتصور."

أحمد نظر إليّ بفضول وقال:

"أنت تبدو متأثرًا، يا ياسر. هل تظن أن هناك شيئًا مميزًا في هذه الفتاة أو في موضوع الهاتف؟"

"لا أعلم "

أحمد فكر قليلًا ثم قال:

" لكن عليك أن تكون حذرًا. لا يجب أن تتدخل في حياة الآخرين إلا إذا كان ذلك ضروريًا. في نفس الوقت، لا تنسَ نفسك. حياتك ما زالت بحاجة إلى اهتمامك، ، ونحن لا نعرف تلك الفتاة يا ياسر."

بعد أن غادرت أحمد، قررت أن أتنزه قليلًا. لم أكن أرغب في العودة إلى المنزل فورًا، فالجو كان لطيفًا بشكل نادر هذه الليلة. نسيم بارد يلامس وجهي، وصوت العصافير في الأشجار المحيطة ينساب كأنه لحن هادئ يطهر روحي من إرهاق اليوم.

سرت على مهل، أراقب الأضواء الخافتة التي تنعكس على الأرصفة المبللة. لم أشعر برغبة في التفكير في أي شيء، لا عن عملي، ولا عن اللقاءات التي مررت بها اليوم. فقط أردت أن أسمح لهذا الهدوء بأن يحتويني، أن أعيش هذه اللحظة بكل بساطتها دون أن يشغلني أي شيء آخر.

في اليوم التالي، كنت عائدًا من عملي في المستشفى، وأثناء مروري بالطريق، شهدت حادث سيارة. كانت المركبة مسرعة قبل أن تصطدم بشخص يسير على الرصيف. عندما توقفتُ ونظرتُ عن كثب، شعرتُ برعب مفاجئ... كانت تارا ملقاة على الأرض، عاجزة عن النهوض، وقدمها مثنية بشكل غريب.

لم أتردد. بصفتي طبيبًا، كنتُ أعرف ما يجب فعله في مثل هذه الحالات. هرعتُ نحوها، وبينما كنت أقترب، انتابني شعور غريب. رغم وضعها الحالي، كان هناك شيء مألوف في ملامحها.

"هل أنتِ بخير؟" سألتها بلطف، وأنا أساعدها على الجلوس بحذر.

نظرت إليّ بعينين يملؤهما التوتر والحذر، وكأنها لا تعرفني، رغم أنني التقيت بها سابقًا. لكن ذلك لم يكن ما يشغلها حقًا؛ فقد كانت مشاعرها تتداخل بسرعة، وكأنها تمسك نفسها عن الانهيار.

"أرجوك... لا تلمسني"، تمتمت بصوت خافت، وكأنها تخشى أن تنهار أكثر.

"أنا هنا فقط لمساعدتكِ"، طمأنتها، بينما كنت أفحص قدمها للتأكد من عدم وجود كسر. لكن الألم كان واضحًا على ملامحها. "هل تحتاجين للذهاب إلى المستشفى؟"

بدت في حالة صدمة، لكن شيئًا في ردود أفعالها أزعجني. لم تكن ترفض المساعدة فحسب، بل كان هناك شيء أعمق... شيء يجعلها تتجنب أي تواصل. لم يكن الألم جسديًا فقط، بل نفسيًا أيضًا، وكأنها تحمل ثقلًا لا تريد لأحد أن يراه.

ثم فجأة، أدركتُ الحقيقة...

"أنتِ... تارا، أليس كذلك؟"

نظرت إليّ بصدمة، وكأنها تحاول استيعاب كيف عرفت اسمها. بدا عليها التردد، وكأنها تفكر في التراجع، لكن الألم في قدمها كان أكبر من قلقها.

"كيف تعرفني؟" سألت بصوت ضعيف، وهي تحاول الحفاظ على المسافة بيننا. "أنتَ... هل أنت من وجد هاتفي؟"

"نعم، أنا ياسر. تواصلت معي نور لاستعادته"، أجبتها بهدوء.

أخذت نفسًا عميقًا، ويبدو أن هذه اللحظة لم تكن ضمن توقعاتها. كانت تارا تُظهر ضعفًا ليس فقط بسبب الحادث، بل أيضًا بسبب الحواجز التي تضعها حول نفسها. لم تكن تشعر بالأمان بسهولة، حتى مع شخص يحاول مساعدتها.

"لنذهب إلى المستشفى"، قلتُ أخيرًا."لا يمكنني تركككِ هنا، دعيني أساعدكِ."

رغم ترددها، وافقت في النهاية. ربما لأنها لم تعد قادرة على تحمل الألم، أو ربما لأن شيئًا في نبرتي جعلها تشعر بأنني الشخص الوحيد الذي يمكنها الوثوق به في هذه اللحظة.

وصلتُ إلى المستشفى بسرعة بعد الحادث. كان طاقم الطوارئ مشغولًا بحالات أخرى، بينما كانت تارا جالسة على السرير تحاول إخفاء ألمها.
إصابتها لم تكن خطيرة، مجرد كدمة في ساقها مع تورّم بسيط، لكن ملامح وجهها كانت تخبرني أن الألم لم يكن جسديًا فقط. رغم ذلك، كانت تحاول أن تبدو قوية.

كنت قد سمعت عنها من نور، وعرفت بعض صفاتها، لكن رؤيتها بهذه الحالة جعلتني أشعر بشيء مختلف. شعرتُ بمسؤولية تجاهها، ليس

فقط كطبيب، بل كإنسان التقى بها بطريقة غير متوقعة، ووجد نفسه جزءًا من قصتها.

اقتربتُ منها وقلتُ بنبرة هادئة:
"تارا، كيف تشعرين؟ الإصابة ليست خطيرة، لكن دعيني أرى ما يمكنني فعله."

حاولت أن تبتسم، لكنها كانت متوترة. كانت متمسكة بتلك القوة التي لطالما أظهرتها، لكنها لم تكن كاملة هذه المرة، وكأن شيئًا في داخلها قد انكسر.

قالت بحذر:
"أنا بخير. لا داعي للقلق، إنها مجرد إصابة بسيطة."

ابتسمتُ بخفة وأنا أقول:
"صحيح، مجرد إصابة بسيطة، لكن علينا أن نكون حذرين. سنعتني بها جيدًا، وستكونين بخير."

بدأتُ بفحص ساقها بعناية. لم يكن هناك كسر، فقط كدمة تحتاج إلى الراحة والثلج. نظرتُ إليها، فرأيت في عينيها شيئًا مختلفًا... ليس الألم فقط، بل الحزن والخوف، وكأنها تخشى أن تكون عبئًا على أحد.

قلتُ بلطف:
"لا تقلقي، تارا. نحن هنا لندعمك، ولستِ وحدك في هذا."

رغم أنها لم تقل شيئًا، كان واضحًا أنها تحاول تصديق كلامي. بدت وكأنها تحتاج إلى أكثر من مجرد علاج جسدي.كانت بحاجة إلى طمأنينة، إلى من يخبرها أن هناك من يهتم بها حقًا.

وأنا أتابع الاعتناء بإصابتها، خطر ببالي شيء... ربما حان الوقت لتتعلّم أن السماح للآخرين بمساعدتها ليس ضعفًا. لا أحد يستطيع أن يتحمل كل شيء بمفرده.

شعرتُ أننا بدأنا نفهم بعضنا دون كلمات. لم أكن أعلم كيف ستمضي الأمور بعد هذه اللحظة، لكنني كنت عازمًا على مساعدتها، ليس فقط في التعافي الجسدي، بل في إيجاد القوة التي كانت تخفيها خلف جدرانها العالية.

بينما كنتُ أركز على علاج ساق تارا، فُتح باب الغرفة فجأة، ودخلت نور بخطوات سريعة. كان وجهها يعكس مزيجًا من الصدمة والدهشة عندما وقعت عيناها عليّ. توقفت للحظة، وكأنها تحاول استيعاب الموقف.

نظرت إليَّ بدهشة وقالت:
"هل أنت... طبيب؟"

ابتسمتُ بهدوء وأنا أجيب:
"نعم، أنا طبيب."

تنفست الصعداء واقتربت مني وهي تقول بامتنان واضح:
"شكراً جزيلاً لك على اعتنائك بتارا. حقًا، أنا ممتنة لك."

هززت رأسي مطمئنًا:
"لا داعي للشكر. لقد قمتُ فقط ببعض العناية البسيطة، لكنها بحاجة إلى الراحة."

وقفت نور بجانب تارا، كانت نظراتها مليئة بالقلق والاهتمام. رغم أن تارا لطالما بدت قوية، إلا أن وجود صديقتها بجانبها كشف جزءًا آخر منها جزءًا يحتاج إلى الدعم أكثر مما تُظهر. شعرتُ للحظة أن وجودي هنا لم يكن مجرد مصادفة، وكأنني كنت هنا لسبب أكبر من كوني طبيبًا فقط.

اقتربت نور أكثر وهمست لتارا بلطف، محاولة طمأنتها، ثم التفتت إليّ مجددًا وقالت بصوت منخفض لكن بإخلاص واضح:

"شكرًا مرة أخرى، ياسر. لا أعرف كيف يمكنني ردّ هذا الجميل."

ابتسمتُ بخفة وأنا أقول:
"لا داعي للشكر، نور. كل شيء سيكون على ما يرام."

كانت تلك اللحظة بسيطة، لكنها حملت شيئًا أعمق. شعرتُ أنني أصبحتُ جزءًا من هذه القصة، ليس فقط كطبيب، بل كشخص قد يكون له دور في حياة تارا أكثر مما كنتُ أتوقع.

*****

[تارا]

"نور، هل كنتِ حقًا قلقة عليّ؟ لم أكن أريد أن أقلقكِ... لكنني كنت في حالة صدمة بعد الحادث."

نور، بصوت يملؤه القلق:
"كيف لا أقلق؟ أنتِ صديقتي دائمًا، وأنا هنا من أجلكِ، أليس كذلك؟ كنتِ دائمًا قوية، لكنني لم أتوقع أن يؤثر عليكِ هذا الحادث بهذا الشكل... شعرت بشيء غريب."

كانت تراقبني بعناية، تحاول أن تبدو متماسكة، لكن القلق كان واضحًا في نظراتها.

بعد تنهيدة طويلة:
"أعتقد أنني كنتُ أخشى أن أكون ضعيفة أمامكِ، أو أمام أي شخص. شعرتُ أنني خذلتُ نفسي... أنا لستُ قوية كما يظن الجميع."

حدّقتُ في يديّ، كأنني أبحث عن إجابة هناك. لم يكن الأمر مجرد إصابة جسدية، بل كان نقطة تحول في رؤيتي لنفسي.

نور، بصوت دافئ:
"تارا، لا تعتقدي أن القوة تعني ألا تُظهري ضعفكِ أبدًا. القوة الحقيقية في أن تتقبلي ضعفكِ وتواجهيه.

كلنا نمر بلحظات صعبة، وهذا لا ينقص منّا شيئًا."

جلست بجانبي، تشد على يدي بلطف، محاولة أن تمنحني بعض الطمأنينة.

قلت بصوت خافت:
"ربما أنتِ على حق... لكن لا أستطيع التخلص من هذا الخوف. الخوف من الفقد، من الوحدة، من أن يتخلى عني الجميع."

كنتُ أعترف بشيء طالما خبّأته عن الجميع، حتى عن نفسي. كان صوتي مليئًا بالألم، لكن في الوقت نفسه، شعرتُ وكأنني أتحرر من عبء ظلّ يثقل كاهلي.

نور، بابتسامة مشجعة:
"الفقد جزء من الحياة، تارا. جميعنا فقدنا أشخاصًا أو أشياء عزيزة علينا، لكنه ليس نهاية العالم. المهم هو أن تدركي أن هناك من يبقى بجانبكِ... وأنا هنا، ولن تظلي وحيدة. انسي ما حدث، أعرف أنك مررتِ بالكثير من الأشياء التي جعلتكِ تصبحين كما أنتِ الآن. أعرف أنكِ وثقتِ بالكثير من الأشخاص، أقرباء وأصدقاء، ولكنهم خدلوكِ. مثلما كان عملك الذي كنتِ تحبينه كثيرًا، كان يظهر وكأنه يحبكم جميعًا، لكن هدفه الحقيقي كان أن يأخذ ما يملك والدكِ. ثم قتل عائلتكِ، وتركك أعمامكِ بلا رعاية بعد وفاة عائلتكِ. لكن، رغم كل ذلك، كانت هناك امرأة واحدة فقط هي التي فهمت ما كنتِ تمرين به، هي من اهتمت بكِ حقًا، وكانت تحبكِ بصدق. ولكنها توفيت، وتركتكِ وحيدة مرة أخرى. حاولتِ أن تتحملي كل شيء وحدك، لكنني

أقول لكِ الآن، حاولي أن تنسي، يا أختي، كل هذا الألم، لأنكِ تستحقين الحياة، وتستحقين السلام الداخلي."

نظرتُ إليها، وكانت ابتسامتها مليئة بالدعم.
شعرتُ بالدفء حين وضعت يدها فوق يدي، كأنها تذكرني أنني لست وحدي.

أنا، بعد لحظة صمت:
"وأنتِ؟ لماذا تفعلين هذا؟ لماذا دائمًا تكونين هنا من أجلي؟"

نور، بنبرة صادقة:

"لأنكِ تستحقين الدعم، ولأنكِ صديقتي. وأريدكِ أن تدركي أنكِ لا تُقاسين فقط بما تملكينه أو بما يراه الآخرون فيكِ، بل أنتِ أقوى مما تتصورين."
ثم ابتسمت بحنان، كأنها تحاول أن تبدد مخاوفي.

***

بينما كنت جالسًا على السرير أفكر في حديث عمتي، شعرت بشيء غريب يعكر صفو تفكيري. لماذا كانت تتمسك بشدة بفكرة سفري؟ هل هناك شيء مخفي وراء ذلك؟ لكنني لم أتمكن من الوصول إلى جواب واضح.

ثم دخل أحمد إلى غرفتي فجأة، وهو يناديني بصوت مرتفع: "ياسر، أين أنت؟"

"أنا هنا، ألم ترني؟" أجبت وأنا أرفع عيني لأراه، لكن بدا وكأن عقلي كان شاردًا في تفكير آخر.

"أقصد، أرى جسدك هنا، لكن أين عقلك؟" قال أحمد وهو يبدو مندهشًا.

"آسف، عقلي مشوش قليلاً." قلت وأنا أشعر بالضغط نتيجة حديث عمتي. "انزعجت مني عمتي، ولا أعرف ماذا أفعل. هي دائمًا تدعمني، ولم أرفض لها طلبًا قط، واليوم فقط شعرت بأنها غاضبة مني."

نظر أحمد إليَّ ثم قال: "لا تخبرني أنه حول سفرك."

"نعم، نعم... نفس الموضوع. لا أستطيع فهم السبب وراء تمسكها به." أجبته بصوت منخفض، محاولًا فهم دوافع عمتي.

"ربما عمتك لديها سبب لتمسكها بذلك، لا نعرفه." قال أحمد بجدية. "لكن إذا كانت لديك شكوك، تحدث معها، استمع لما تخبرك به."

"ولكن ما هو السبب؟ لماذا ترفض أن أظل هنا؟" قلت وأنا أشعر بالحيرة.

هز أحمد رأسه وقال: "دعنا ننسى هذا الآن. لديك أمور أخرى أكثر أهمية للتركيز عليها. مثل آنسة تارا، هل تعافَت بعد الحادث؟"

"الحمد لله، إصابتها ليست خطيرة. ستكون بخير بعد العناية التي قدمتها لها صديقتها نور." أجبت.

"هل تحدثت معها بعد الحادث؟" سأل أحمد بتساؤل.

"لا، لم أتحدث معها بعد. ربما تكون خائفة أو لا تثق بي." قلت وأنا أفكر في الموقف. "لكنني لا أريد أن أفرض عليها شيئًا لا تريده."

"لكن لا أحد يعرف ما الذي سيحدث بعد ذلك. دع الأمور تسير كما هي." قال أحمد، وهو يحاول تهدئتي. "حسنًا، أنا ذاهب الآن إلى المستشفى للقيام بعملي. يمكنك الاستراحة هنا، ولكن لا تدع عمّتك تبقى منزعجة منك."

"أنت على صواب. سأستعد الآن." قلت وأنا أرفع رأسي، وأشعر ببعض الارتياح من كلامه.
"أشكرك يا أحمد على نصائحك. أتمنى لك يومًا جيدًا في عملك."

"لا تقلق، وستكون الأمور على ما يرام." قال أحمد وهو يبتسم لي قبل أن يخرج من الغرفة.

بعد مغادرة أحمد، جلست في غرفتي غارقًا في التفكير. كلمات عمتي لا تزال تتردد في ذهني، ومشاعري كانت في فوضى عارمة. لم أستطع فهم سبب إصرارها الشديد على سفري، ولماذا بدت متوترة إلى هذا الحد، وكأنها تخفي أمرًا مهمًا عني. لكن، مهما حاولت التفكير، لم أصل إلى إجابة واضحة.

حاولت صرف ذهني عن الأمر، فنهضت وغادرت غرفتي متجهًا إلى المستشفى، عازمًا على التركيز في عملي. كنت بحاجة إلى الانشغال بروتيني الطبي، بعيدًا عن التوترات العائلية التي تثقل كاهلي. هناك مرضى ينتظرون، والوقت لا يتوقف.

وكما هو الحال دائمًا، كانت المستشفى تعجّ بالحركة. الأطباء والممرضات يتحركون بسرعة، وكل شيء يسير وفق نظام صارم. ما إن دخلت إلى غرفة العمليات حتى حاولت تصفية ذهني والتركيز على المهمة التي بين يدي. كان من الأسهل أن أنشغل بمرضاي بدلًا من الغرق في التفكير بعمتي أو بمستقبل بدا لي غامضًا أكثر من أي وقت مضى. عملي هو الشيء الوحيد الذي يمنحني الشعور بالاستقرار وسط هذه الفوضى،

وعليّ أن أكون متماسكًا، مهما كان ما يدور في داخلي.

لكن، رغم كل محاولاتي لتجاهل أفكاري، وجدت نفسي أفكر في تارا وفي الحادث الذي تعرضت له. ورغم أن إصابتها لم تكن خطيرة، شعرت ببعض القلق عليها. تُرى، هل أصبحت بخير الآن؟ هل سأتمكن من التواصل معها مجددًا؟ لكنني عدت وأخبرت نفسي أنني لا أستطيع فرض وجودي على أحد، خاصة عندما يتعلق الأمر بالثقة والراحة الشخصية.

قررت أن أركز في عملي، أن أضع كل شيء آخر جانبًا. لا يمكنني السماح لشيء بأن يؤثر على أدائي المهني. عليّ أن أكون قويًا من أجل

الآخرين أولًا، وسأمنح نفسي وقتًا للتفكير لاحقًا، عندما يحين الوقت المناسب.

بعد ساعات من العمل، شعرت أنني بحاجة إلى استراحة قصيرة. قررت الذهاب إلى المقهى الصغير بجانب المستشفى. جلست هناك، متأملاً في كل شيء يجري حولي، محاولًا تصفية ذهني قليلًا قبل أن أعود لمتابعة العمل.

لكن أثناء جلوسي، لاحظت ظلًا يتحرك باتجاهي. رفعت نظري ببطء، ومع اقتراب الخطوات، بدأت الملامح تتضح. كانت تارا.

توقفت أمامي للحظة، ثم تقدمت بخطوات هادئة وجلست على الكرسي المقابل لي. نظرت إليّ بتردد قبل أن تقول بصوت منخفض:
"مرحبًا، ياسر."

وضعت الكوب الذي كنت أحمله جانبًا، وقلت بهدوء:
"مرحبًا، تارا. لم أتوقع رؤيتك هنا."

أخفضت نظرها للحظة، ثم قالت:
"جئت إلى المستشفى لرؤيتك، أردت أن أشكرك على ما فعلته من أجلي."

هززت رأسي بهدوء وقلت:
"لا داعي للشكر، هذا واجبي."

لكنني لم أترك الحديث ينتهي عند هذا الحد.
نظرت إليها بجدية وقلت بصوت هادئ لكن حازم:
"تارا، أريد أن أعرف من أنت حقًا."

رفعت رأسها إليّ بدهشة، لكنها لم تتكلم، فتابعت:
"أنا أعرف بعض الأشياء عنك. أنتِ انطوائية، لا تملكين الكثير من الأشخاص المقربين، ربما فقط صديقتك نور. لا تثقين بأحد بسهولة، وتفضلين الوحدة."

لم ترد، لكنها ظلت تحدق بي، وكأنها تحاول استيعاب كلماتي. أكملت كلامي ببطء:
"لكن هذا لا يكفي. أشعر أن هناك ما تخفينه، شيئًا لا تريدين أن يعرفه أحد. لماذا أنتِ بهذه الطريقة؟ ما الذي جعلك تفضلين العزلة؟"

ضغطت على يديها معًا، كما لو أنها تكافح للعثور على الكلمات المناسبة. ثم، بصوت منخفض بالكاد يُسمع، قالت:
"الأمر ليس بهذه البساطة، ياسر..."

"أخذتْ نفسًا عميقًا، ثم نظرت إليَّ وقالت بصوت هادئ..
"ياسر، أنت طبيب، وعملك هو مساعدة الناس، لكن ليس كل الجروح يمكن علاجها بسهولة. هناك أشياء تبقى معنا رغم كل شيء."

تأملتُ كلماتها للحظات، ثم ابتسمتُ بهدوء وقلتُ:
"أعرف ذلك، وأعلم أن بعض الندوب لا تختفي، لكنها لا يجب أن تمنعنا من العيش. ربما لا أستطيع فهم ما مررتِ به تمامًا، لكنني أؤمن أنكِ أقوى مما تظنين."

نهضتْ بلطف، وبدت على وجهها ملامح امتنان خفي، قبل أن تقول:
"أقدّر كلامك، ياسر. ربما يأتي يوم أتمكن فيه من نسيان الماضي، لكن ليس اليوم. على أي حال، شكرًا لأنك كنت هنا."

راقبتها وهي تغادر المقهى، خطواتها كانت هادئة، لكنني شعرتُ وكأنها تحمل ثقلًا لا يُرى. لم أكن أعلم لماذا اهتممتُ بها إلى هذا الحد، ولماذا بقيت كلماتها تتردد في رأسي وكأنها تخفي معاني أعمق مما قيل.

عدتُ لأنظر إلى فنجاني، بالكاد كنتُ قد شربتُ منه. أسندتُ ظهري إلى الكرسي وأطلقتُ زفرة خفيفة. لم تكن مجرد مريضة عابرة، ولا مجرد

فتاة ساعدتها بعد حادثة. كانت شيئًا مختلفًا، شيئًا لم أجد له تفسيرًا بعد.

لم أرغب في التعمق في التفكير. لدي عملي، لدي حياة خططتُ لها بعيدًا عن أي تعقيدات. لكن رغم ذلك، كانت كلماتها تشدني إلى عالمها المغلق، ذاك العالم الذي لم تسمح لأحد بدخوله.

"ليس كل الجروح يمكن علاجها بسهولة."

كانت كلماتها صادقة، لكنني لم أكن من النوع الذي يستسلم بسهولة. أنا طبيب، ودوري لا يقتصر فقط على علاج الجسد، بل أحيانًا يتعداه إلى شيء أعمق. لم أكن أعلم إن كنتُ سألتقي بها مجددًا، لكنني كنتُ واثقًا أن هذه لم تكن النهاية.

نهضتُ من مقعدي، وضعتُ فنجاني على الطاولة، ثم توجهتُ إلى المستشفى. كان عليَّ العودة إلى واقعي، إلى المكان الذي أنتمي إليه. ربما كانت تارا مجرد فصل عابر، أو ربما بداية لشيء لم أكن مستعدًا له بعد.

***

[تارا]

بعدما عدتُ، وجدتُ نفسي غارقة في التفكير في كلام ياسر، تلك الكلمات التي قالها لي. هل كان على صواب فيما قاله؟ هل يجب أن أنسى كل ما حدث لي؟ هل يمكنني أن أتجاهل تلك اللحظات التي كنت أجلس فيها وحدي، رغم أن نور كانت

دائمًا بجانبي؟ ذلك الشعور بالفراغ الداخلي، ذلك الإحساس الذي لم يفارقني يومًا...

ولكن، من هو حتى أستمع إليه؟ لماذا قد يكون لكلامه تأثير عليّ؟

بينما كنت مستغرقة في أفكاري، دخلت نور فجأة وقالت بصوت جاد:
"لقد سمعت ما قلت الآن، تارا، ذلك الشخص ليس مجرد شخص عابر في حياتك."

رفعتُ عينيّ إليها بصمت، فأكملت بإصرار:
"أعرف أن طبيب ياسر قال الحقيقة. تارا، أنتِ صديقتي وأختي، وأنا أريد لكِ الخير... انسَي الأشياء السيئة، ركّزي على عملكِ، ركّزي على

الأشخاص الذين يستحقون وجودكِ، ولا تجعلي الماضي يقيدكِ."

نظرتُ إليها، لكنني لم أتمكن من الرد، وكأن كلماتي ضاعت بين أفكاري المتضاربة.

اقتربت مني أكثر وقالت بنبرة هادئة:
"استغلي الفرص يا تارا... ياسر يريد مساعدتكِ، وأعتقد أنه... يحبكِ. على الأقل، حاولي أن تعطي نفسكِ فرصة، ولو لمرة واحدة."

ثم ابتسمت بخفة وأضافت: "سأترككِ تفكرين في الأمر."

غادرت نور، وتركتني وحدي مع تلك الأفكار التي لم تعد تسمح لي بالراحة...

جلستُ في مكاني، أحدق في الفراغ، وكلمات نور تتردد في ذهني. هل حقًا ياسر يريد مساعدتي؟ وهل حقًا... يحبني؟

لم أعتد أن يفكر أحد بي بهذه الطريقة، لطالما كنتُ أضع حاجزًا بيني وبين الآخرين، لطالما اعتقدتُ أن الوحدة أكثر أمانًا، لكنها لم تكن كذلك... كنت فقط أخدع نفسي.

تنهدتُ بعمق، ثم نهضتُ من مكاني واتجهتُ نحو النافذة. نظرتُ إلى الشارع المزدحم بالحياة، وكأنني أبحث عن إجابة بين المارة. ربما حان الوقت لأتوقف عن الهروب من الماضي، لكن... هل أملك الشجاعة لفعل ذلك؟

رنّ هاتفي، نظرتُ إلى الشاشة، فوجدتُ رسالة من نور:
"أعلم أنكِ تفكرين كثيرًا الآن، فقط تذكري...
الحياة لا تنتظر أحدًا، ولا بأس بأن نمنح أنفسنا فرصة للسعادة."

ابتسمتُ قليلًا، وكأن كلماتها نجحت في لمس شيء ما داخلي.

ربما... فقط ربما، يمكنني أن أبدأ من جديد.

سوف أنسى كل ما حصل، وسوف أركز على ما هو آتٍ.

لا أريد أن أبقى حبيسة الماضي أكثر، لا أريد أن أكون أسيرة لتلك الذكريات التي تلاحقني في كل مرة أحاول فيها المضي قدمًا.

ربما كانت نور محقة، وربما كان ياسر كذلك. لا بأس بأن أسمح لنفسي بفرصة جديدة، لا بأس بأن أفتح نافذة صغيرة للحياة، حتى لو كان ذلك مخيفًا.

في اليوم التالي، استيقظتُ بعزيمة مختلفة. نظرتُ إلى المرآة، وتأملتُ نفسي لوهلة. كنتُ أرى فتاةً تحمل الكثير من الألم، ولكن ربما حان الوقت لأرى الجانب الآخر منها، الجانب الذي يريد أن يحيا دون قيود.

ارتديتُ معطفي، واستعددتُ للخروج. اليوم، سأبدأ بداية جديدة.

عندما خرجتُ من المنزل، شعرتُ بنسيم الصباح يلامس وجهي برفق، وكأنه يخبرني أن كل شيء سيكون بخير. سرتُ في الشارع بخطوات ثابتة، لكن داخلي كان ممتلئًا بتساؤلات كثيرة. هل يمكنني حقًا أن أتغير؟ هل يمكنني أن أفتح صفحة جديدة دون أن يلاحقني الماضي؟

بينما كنتُ أسير، رنّ هاتفي، وعندما نظرتُ إلى الشاشة، وجدتُ اسم نور.

– "ألو، تارا! أين أنتِ؟"

– "أنا في طريقي إلى العمل."

– "رائع! لأنني كنتُ أفكر... ماذا لو خرجنا بعد العمل؟ مجرد نزهة صغيرة، لا شيء معقد."

– "نزهة؟" توقفتُ للحظة، لم أعتد على هذه الأمور كثيرًا.

– "نعم، أعلم أن الأمر مفاجئ، لكنكِ وعدتِني أنكِ ستحاولين. وهنا فرصتكِ الأولى!"

ابتسمتُ رغم نفسي، نور دائمًا تعرف كيف تقنعني بالأشياء التي لم أفكر بها من قبل.

– "حسنًا، اتفقنا."

شعرتُ أن هذا اليوم سيكون مختلفًا. ربما هي مجرد نزهة، وربما مجرد لحظة عابرة، لكنها بالنسبة لي خطوة صغيرة نحو التغيير.

بينما كنتُ جالسة على أحد المقاعد في الحديقة، أراقب الأطفال وهم يركضون بسعادة، شعرتُ بغصة في حلقي. الذكريات اجتاحتني دون استئذان أيام كنتُ أركض بين ذراعي والدي، وابتسامة أمي الدافئة وهي تناديني لمساعدتها في المطبخ، رغم أنني لم أكن أساعد كثيرًا بقدر ما كنتُ أعبث بالأشياء.

تنهدتُ بهدوء وقلتُ في داخلي: "الوالدان هما الحياة، هما النعمة الحقيقية التي لا ندرك قيمتها إلا حين نبعد عنهما."

أغمضتُ عيني للحظات، محاولةً كبح دموعي، لكن الاشتياق كان أقوى. اشتقتُ إليهما كثيرًا، اشتقتُ إلى دفء المنزل، إلى الأحاديث البسيطة، إلى الشعور بالأمان المطلق بين أفراد عائلتي.

فتحتُ عيني عندما سمعتُ صوتًا مألوفًا يناديني. كانت نور تقترب بخطوات سريعة، وعلى وجهها ابتسامة واسعة. حاولتُ إخفاء ملامح الحزن التي كانت تلوح على وجهي، لكنني كنتُ أعلم أنها ستلاحظ... فهي دائمًا ترى ما أخفيه.

بينما كانت نور وأنا نسير في الطريق، تحدثنا عن العديد من الذكريات القديمة. ضحكنا معًا، مسترجعين اللحظات التي لا تنسى. توقفنا عند كل

محل نحب، واشترينا كل شيء كان يعجبنا. لم يكن هناك أي شيء يوقفنا عن الاستمتاع بتلك اللحظات البسيطة، حتى وصلنا إلى نقطة ما في الطريق.

فجأة، رأينا ياسر وأحمد قادمين من بعيد. تلاقينا معًا بابتسامة، وسلمنا بعضنا البعض قبل أن نقرر جميعًا التوجه إلى البحر.

عندما وصلنا إلى الشاطئ، جلسنا جميعًا أمام البحر، نستمتع بنسمات الهواء المنعشة. ومع مرور الوقت، شعرنا بشيء غير مريح في الجو، وكأن هناك شيئًا مهمًا يود أحمد ونور أن يخبرا به كلانا. فجأة، وقبل أن أتمكن من فهم ما يحدث، قررا مغادرة المكان، بحجة أن لديهما أمرًا عاجلًا. بعد مغادرة نور وأحمد، وجدت نفسي جالسة وحدي مع ياسر، ننظر إلى البحر الذي يمتد أمامنا

بصمت. كان الوقت في تلك اللحظة هادئًا، وكأن البحر نفسه يواكب أفكارنا. فجأة، كسر ياسر هذا الصمت.

"اليوم، أراكِ مختلفة عن الأيام التي تصادفنا فيها. أراكِ كلكِ أمل."

نظرت إليه، وكأن كلماته لم تكن سوى صدى لما كنت أشعر به. كانت تلك المرة الأولى التي يتحدث فيها عني بهذا الشكل، وعينيه كانتا تعكس شيئًا عميقًا.

"هل تعني ذلك، أنك ترى فيني شيئًا جديدًا؟"

سألته، رغم أنني كنت أعرف الإجابة في أعماق نفسي.

"نعم، تارا. هناك شيء مختلف فيكِ اليوم. ليس فقط في ملامحك، ولكن في الطريقة التي تنظرين بها إلى الحياة. يبدو أنكِ قد بدأتِ في رؤية الأمل من جديد."

أغمضتُ عيني لحظة، وكأنني أريد أن أستوعب كلماته. كنتُ أعتقد أنني لن أستطيع النهوض من هذا الفراغ الداخلي الذي كنت أغرق فيه. لكن... ربما كان ياسر محقًا.

"أظن أن الحياة قد تعطيكِ فرصة جديدة أحيانًا، حتى لو كنتِ لا تتوقعين ذلك."

صوته كان مليئًا بالثقة، وكأنه يحاول أن ينقل لي بعضًا من تلك الثقة. كانت الكلمات بسيطة، لكنها تحمل الكثير من المعاني.

بعد صمت طويل بيننا، تحدث ياسر وقال كلمات لا أعرف لماذا كان لها هذا التأثير الكبير عليّ.

"تارا، هناك وعد أريد أن أقدمه لك اليوم. شيء لن يُنسى أبدًا."

كان صوته هادئًا، ولكن كلماته كانت ثقيلة ومعبرة. نظر إليّ بعينيه الهادئتين، وكأن ما سيقوله سيكون مهمًا، وكأن الكلمات تحمل وزنًا أكبر من مجرد حديث عابر.

"أريدك أن تعرفي شيئًا، مهما حدث بيننا في المستقبل، ومهما تغيرت الأمور من حولنا. أنا هنا الآن، وسأظل هنا، ولكن بوعد واحد فقط: مهما كانت الظروف، سأظل دائمًا إلى جانبك. وهذا ليس وعدًا مجردًا، بل هو وعد حقيقي من شخص يعتبرك صديقة مقربة، وسوف أظل وفياً لك مهما كانت الأحداث. تارا، هذا الوعد سيكون جزءًا منك، وسيظل عالقًا في قلبك، ولن يُنسى."

كان قلبي يخفق بشدة وأنا أستمع إلى كلماته. كيف يمكن لأحدهم أن يقدم وعدًا كهذا؟ كيف يمكن أن يثق في شخص مثلي بهذه الطريقة؟ نظرت إليه، وكأنني أحاول فهم ما وراء تلك الكلمات، كيف أصبحت هذه اللحظة محورية في حياتي.

قلت له بصوت هادئ، رغم أن قلبي كان يتحدث: "إذا كان هذا وعدك، ياسر، فإني أقبله. وأنا أعرف أنه إذا احتجت إليك في أي وقت، ستكون هناك. شكراً لك على هذا الوعد، لأنه يعطيني الأمل."

ابتسم لي ابتسامة دافئة، وكأن كل شيء أصبح على ما يرام، وكأن الحياة تحمل لنا أكثر مما نعتقد.

قال لي: "هذا وعد مني، وليس مجرد كلام. اعتبريني صديقك المقرب، وأنتِ لا تحتاجين للقلق أبدًا. مهما حدث، سأظل هنا لأدعمك، ولك هذا الوعد الذي لا يمكن أن يُنسى. ويجب أن تعرفي يا تارا أن الوعد ليس مجرد كلمات تقال، بل هو التزام عميق ينبع من القلب. نضع جزءًا من أنفسنا في ذلك الوعد."

لم أستطع أن أقول المزيد في تلك اللحظة، فقط شعرت براحة غريبة تغمرني، وكأنني أخيرًا أملك شيئًا يمكن أن يكون أملا في حياتي .

***

عندما وصلت إلى المنزل، كان الجو هادئًا.
وعندما رأتني عمتي، سلّمت عليّ ثم ذهبت دون أن تسألني إن كنت قد أكلت، أو إن كنت مريضًا أم بخير. عندها، أدركت أنها لا تزال قلقة جدًا.

طرقت باب غرفتها بلطف، ثم دخلت ببطء.
وجدتها واقفة تحدّق من النافذة كعادتها عندما يزعجها شيء ما، وكأنها غارقة في أفكارها.

تقدّمت نحوها ووقفت بجانبها، لم تلتفت إليّ، لكنني شعرت بأنها تعلم بوجودي.

"عمتي..." قلت بصوت هادئ. لم تجب، فتابعت: "أعلم أنكِ منزعجة جدًا مني، ولم أرد أن أكون سببًا في ذلك."

أخذت نفسًا عميقًا، ثم أكملت: "أنا فقط... لا أريد السفر، ليس لأنني أرفض فكرتكِ أو لأنني لا أثق بكِ، ولكن لأنني أشعر أنني بحاجة للبقاء هنا الآن."

التفتت إليّ، كانت عيناها تحملان مزيجًا من الحنان والقلق والدموع، وكأنها تريد أن تقول شيئًا لكنها مترددة.

"ابني ياسر، أنا لا أجبرك على شيء، ولكن هناك أمور ستفهمها لاحقًا، وربما عندها ستدرك لماذا كنت مُصرّة على هذا القرار." ثم أضافت بعد صمت طويل: "لكنها حياتك، وإذا كنت تظن أن بقاءك هنا هو الأفضل، فلن أقف في طريقك. فقط كن على يقين أن الحياة ليست دائمًا كما نظنها."

رغم أنها لم تخبرني بالحقيقة، إلا أنني أدركت أنها لم تعد منزعجة مني. أمسكتُ بيدها برفق وابتسمت.

"عمتي، أنتِ أهم شخص في حياتي، وأنتِ تعلمين ذلك. لقد علمتِني منذ صغري أن أواجه أي مشكلة بشجاعة وألّا أستسلم لها، وها أنا الآن أطبّق ما قلتِه لي."

ابتسمت عمتي وكأنها تريد أن تخبرني أن كل شيء سيكون بخير، حتى وإن لم أفهم كل شيء الآن.

- - -

بعد أسبوع كامل، لم ألتقِ بأحمد، ولم نتحدث كما تعودنا. قررت أن أتواصل معه لأراه وأطمئن عليه. بدأت أرسل له عدة رسائل، لكن لم يرد، ثم حاولت الاتصال به عدة مرات، ولكن دون جدوى. انتظرت يومًا كاملاً ولم يصلني أي رد، فشعرت بقلق متزايد.

قررت في النهاية أن أذهب إلى منزل عائلته لعلي أكتشف ماذا حدث له. عندما وصلت،

أخبرني والداه بأن أحمد لم يعد إلى المنزل منذ حوالي أسبوع. كان آخر اتصال له مع عائلته حين أخبرهم أنه سيعود متأخرًا بسبب عمله، ومن ثم لم يتصل أو يرد على أي مكالمة.

كان الجو في المنزل هادئًا بشكل غير معتاد، وعيناهما مليئتان بالقلق، مما جعلني أشعر بأن هناك شيئًا غير طبيعي يحدث.

قررنا التوجه إلى الشرطة فورًا. عندما وصلنا، أخبرنا الضابط بما نعرفه عن اختفاء أحمد. شرحت له أن آخر مكالمة مع عائلته

كانت منذ أسبوع تقريبًا، عندما أخبرهم أنه سيبقى في العمل لفترة أطول. بعدها، لم يتصل مرة أخرى، وأصبح الجميع في حالة قلق متزايدة.

زودنا الشرطة بكل المعلومات التي كانت بحوزتنا، مثل المكان الذي كان يزوره عادةً في أوقات فراغه، وأي تفاصيل قد تساعد في تحديد مكانه. أشار الضابط إلى أن الاختفاء لمدة أسبوع هو أمر غير عادي، وأنهم سيبدأون في التحقيق فورًا، مع التحقق من كاميرات المراقبة في الأماكن التي كان يتردد عليها أحمد.

في تلك اللحظة، كنت أشعر بضغط هائل، ولكن في نفس الوقت كان لدي شعور غريبا

بالأمل. ربما كانت هذه هي الخطوة التي كنا بحاجة إليها للعثور على أحمد، ولكنني كنت أدرك أن الطريق سيكون طويلًا.

بعد أن غادرنا مركز الشرطة، شعرت بأسئلة تزدحم في ذهني. أين اختفيت يا صديقي؟ كيف ولماذا؟ ماذا حدث لك؟ كانت الأفكار تتسابق في رأسي، لكن لم يكن لدي إجابة واضحة.

كان قلبي يزداد ثقلاً مع كل لحظة تمر، وأدركت أنه في هذه اللحظات الصعبة، يجب عليّ أن أكون هناك من أجل عائلة أحمد. لابد لي أن أكون إلى جانبهم، أساندهم في هذه المحنة، حتى نتمكن من العثور عليه معًا.

يجب أن أكون قويًا لأجلهم، كما كنت دائمًا مع أحمد.

اتصلت بتارا لأخبرها بما حدث. وفي اللحظة التي اتصلت فيها بها، ردت بسرعة.

قلت لها:
"تارا، هل سمعتِ أي شيء عن ياسر؟ حاولنا الوصول إليه، لكن لا أحد يعرف مكانه، وعائلته قالت إنه اختفى منذ أيام. هل لديك فكرة عما قد يحدث له؟"

تارا، بعد لحظة من الصمت، أجابت بصوت هادئ:

"لا، لم أره منذ اليوم الذي كنا فيه معًا في البحر. بعد ذلك اختفى، ولم أتمكن من الوصول إليه. يبدو أن هناك شيئًا غير طبيعي يحدث."

ثم أضافت بهدوء:
"لكن إذا كنت بحاجة إلى أي شيء، فاعلم أنني هنا. سأكون بجانبك كما كنت معي عندما كنت أغلق على نفسي ولا أسمح لأحد بالتقرب مني. كنت في البداية مغلقة على نفسي، لا أسمح لأحد بالاقتراب، وكنت أعيش في عزلة. لكنك، ياسر، كنت الوحيد الذي وقف إلى جانبي ووفّيت بوعدك بأن تكون هناك، حتى عندما لم أستطع قبول الدعم. بفضل هذا الوعد، بدأت أفتح قلبي وأثق بالآخرين أكثر.

أنت من ساعدني على أن أصبح أفضل،
وسأكون دائمًا بجانبك كما كنت بجانبي.

في يوم موالي ذهبت الى منزل صديقي ، بقيت معهم لبعض الوقت، وكان المنزل غريباً على ما تعودت عليه، مليئاً بالراحة والدفء، لكن ماذا عن الآن؟ أصبح كمنزل مهجور، مظلم، ولا أمل فيه. رأيت أم أحمد، وجهها بائس وبلون شاحب، كان واضحاً أنها لا تأكل وأن الحزن يسيطر عليها. وبدأت تقول لي: "أرجوك، ابني ،أنت صديق أحمد المقرب، ابحث عنه في كل مكان." ولكن كيف أخبرها أنني بحثت في كل مكان نذهب إليه ولم أتمكن من إيجاده؟ بقيت في منزلهم على أمل أن أسمع خبراً مهماً، انتظرت ساعة، ساعتين، خمس

ساعات. لكن في النهاية قررت أن أذهب بعد أن لم يظهر أي جديد. وعندما وصلت إلى الباب للرحيل، رن الهاتف. في تلك اللحظة، بدأنا نترقب، لا نعرف من المتصل. هل هي الشرطة؟ أم أحمد؟ أم أحد أفراد العائلة؟...

كان أفراد العائلة مرتبكين جداً، لذلك قررت أن أجيب على المكالمة بدلاً منهم. لكن القدر لم يكن في صفي هذه المرة. ما سمعته جعلني أعرف أنني فقدت صديقي. صديقي أحمد، الذي وجدوه مقتولاً. هل ما سمعته صحيح؟ أم كنت في حلم؟ كيف يمكنني تصديق هذا الكلام؟ كيف أخبر عائلته ؟ كيف تركني وترك عائلته؟ كنت قد وعدته بأن نكون معاً دوماً. كيف الآن وأنت مقتول؟ من قتل صديقي؟ من فعل هذا به؟...

تفاجأت وكانت أسئلة كثيرة تتصارع في رأسي، لكن خالتي(أم أحمد)كانت تراقبني بترقب. أردت أن أخبرها بالحقيقة، رغم صعوبة ذلك. قلت لها بهدوء: "خالتي ، أنا آسف، ولكن يجب أن أخبرك بالحقيقة، صديقي أحمد وجدته الشرطة مقتولاً في الغابة، ولم يعثروا بعد على القاتل."

"ماذا؟ كيف؟ ابني؟! مستحيل!" قالت وهي تجهش بالبكاء.

"نعم، خالتي. هذا ما أخبرتني به الشرطة. ابني أحمد... أنا آسف جداً."

"أرجوك، ابني، كيف يحدث هذا؟"

كان ذلك أصعب شيء مررت به. خالتي لم تستطع تقبل الخبر، وكان الأمر صعباً على الجميع.
شعرت أن قلبي ينفطر، ولكن لا أستطيع أن أتركها وحدها. الآن كيف أعيش مع هذه الحقيقة؟ كيف يمكن أن أستمر دون صديقي؟
وكأنني فقدت جزءًا من روحي. أحمد، صديقي الوحيد، الذي كنت أرى فيه رفيق الدرب والأمل في هذا العالم، رحل فجأة وكأن الزمن قد توقف. كيف يمكن لهذا أن يحدث؟ لا أستطيع أن أصدق أنني لن أراه مرة أخرى، لن أسمع ضحكته التي كانت تملأ المكان. كانت الأيام تمر وكأنها مجرد لحظات تمر من دون أن نشعر بها، لكن الآن... الآن كل شيء تغير. كل لحظة قضيتها معه كانت نعمة، والآن أصبحت ذكرى مؤلمة، لا يمكنني أن أعيش بدونها.

هل يعقل أن أحمد الذي كان مليئًا بالحياة والأحلام قد اختفى؟ كيف سأواجه هذا العالم من دون صديقي؟ كيف سأحمل في قلبي هذا الفراغ الذي تركه؟

أذكر أننا كنا نضحك سويًا عن المستقبل، عن أحلامنا الكبيرة التي لم نحقق منها شيئًا بعد. كنت أقول له: 'سنبقى معًا إلى الأبد.' ولكن الآن، هذا الوعد أصبح مجرد كلمات فارغة. كيف يمكنني أن أصدق أنني لن أراه يقف بجانبي في لحظات الفرح أو الحزن؟ كيف يمكنني أن أتخيل حياتي من دون أحمد؟

الفراغ الذي تركه في حياتي لا يمكن ملؤه. كل شيء حولي أصبح فارغًا، ميتًا، لا معنى له. كيف يمكنني أن أعيش وأنا أعرف أن هذا الشخص

الذي كان يمثل الأمل لي قد رحل؟ كنت أحتاجه أكثر من أي وقت مضى، وكان هو الشخص الذي يعطيني القوة لأواجه الدنيا، والآن أصبحت وحيدًا، في عالم لا يعرف الرحمة.

أحمد... لماذا تركتني هكذا؟ لماذا تركتني مع هذه الأسئلة التي لن تجد لها إجابة؟ كنت دائمًا تقول لي: 'إذا لم أكن معك، فاعلم أنني سأكون في قلبك.' ولكن، كيف يمكن لقلبٍ محطّم أن يحتمل هذا الفقد؟"

بعد وفاة أحمد، مر وقت طويل وأنا إلى جانب خالتي، محاولاً تقديم الدعم لها، لكن في داخلي كنت محطمًا. كنت أشعر بأنني فقدت جزءاً مني. إلى أن جاء اليوم الذي قررت فيه العودة إلى منزلي، وأخبرت نفسي أنني يجب أن أكون قوياً من أجل عائلته. ذهبت إلى المكان الذي اعتدنا أن نذهب إليه سوياً. جلست تحت الشجرة التي كتبنا عليها أمنياتنا. "أحمد، أعدك أنك لن تُنسى. سأظل قوياً من أجلك، ومن أجل عائلتك.

- - -

دخلت إلى غرفة عمتي، وجلست بجانبها على الأريكة، وأستندت على كتفها في صمتٍ ثقيل. كانت الكلمات تتزاحم في قلبي، لكنني لم

أستطع أن أقول شيئًا. فقط كنت أغمض عيني، وأحاول أن أتمالك نفسي من الداخل، بينما كانت عمتي تراقبني بحزن. لم تمر لحظات حتى شعرت بيدها على رأسي، تداعب شعري برفق، وكأنها تريد أن تمنحني بعضًا من راحة القلب. ثم بدأت تقول بصوت هادئ لكن مليء بالحكمة: 'ابني، الحياة قصيرة جدًا، ولا يمكننا أن نضيعها في الحزن المستمر على من فقدنا. يجب أن نعيش كل لحظة بكل ما فينا من حب وطموح، وأن نفعل ما نرغب فيه، لأن الحياة لا تعود إلى الوراء. أنت تعلم أن أحمد لم يكن مجرد صديق بالنسبة لك، كان أخاك الذي لم تلده أمك. كبرت معه، مررتما معًا بالكثير من المواقف، وكان يساندك في كل لحظة. ولكن، كما تعرف، يجب علينا أن نؤمن بالقضاء والقدر، مهما كانت الصدمة قاسية. لا يمكننا

أن نقف في وجه ما كتبه الله لنا، بل يجب أن نكون أقوياء وأن نواجه الحياة رغم كل الألم.'

كانت كلماتها ثقيلة على قلبي، لكنها كانت تنبع من قلب ، فكانت تحاول أن تهبني بعضًا من قوتها. لم أستطع الرد في تلك اللحظة، فقط جلست وأنا أستمع، وحاولت أن أستوعب كل كلمة قالتها. المضي قدمًا. وفي تلك اللحظة، شعرت بحجم المسؤولية التي على عاتقي، ليس فقط من أجل نفسي، ولكن من أجل عائلة أحمد، ومن أجل ذكراه. وأتمنى أن يُلقى القبض على المجرم الذي فعل هذا بك، وأن يُحاسب بأقصى العقوبات التي يستحقها. لن أنسى أبدًا يا صديقي، وأعدك بأننا سوف نبحث عن القاتل، وسنجد من فعل ذلك بك. العدالة ستأخذ مجراها مهما طال الوقت، ولن يُسمح

لهذا الجريمة أن تمر دون حساب. لن يهدأ لنا بال حتى نضع يدنا على المجرم الذي اغتال حياتك، وسيظل اسمك حيًا في قلوبنا، وعيناي لن تتوقفا عن البحث عن الحقيقة.

ومع مرور الوقت، بدأت أشعر بعودة بعض السعادة إلى حياتي، رغم أن الفراغ الذي تركه صديقي كان لا يزال عميقًا في قلبي. علمت أن الحياة ليست مجرد لحظات سعيدة، بل هي أيضًا القدرة على التكيف مع الفقدان، والتعلم

كيف نعيش مع الذكريات بينما نواصل السير قدمًا، مهما كانت البداية قاسية وصعبة .
تعلمت كيف أواجه الحياة بتحدياتها الجديدة، وأصبحت أكثر قدرة على التكيف مع التغييرات التي حدثت في حياتي. بفضل الله، بدأت أتعلم كيف أعيش من جديد. الحياة لا تتوقف بسبب شخص، بل هي سلسلة من اللحظات التي يجب أن نستمر في عيشها.

مرت الأيام ببطء، وكأن الزمن كان يراوغني، في البداية كانت الحياة تسير بشكل طبيعي.
كنت ألتقي بتارا بين الحين والآخر، وكان لدينا لحظات ممتعة، ضحكنا فيها وشاركنا أفراحنا وأحزاننا. ولكن في الأيام الأخرى، كانت تذهب وتعود، وكأن الحياة تسير بكل سلاسة، وكأن كل شيء على ما يرام. لم أكن أتخيل في

أي لحظة أن شيئًا ما سيحدث ليقلب حياتي رأسًا على عقب.

ثم جاء اليوم الذي اختفت فيه تارا فجأة. شعرت بشيء غريب في صدري، وكأنني كنت أراقب اختفاءها بشكل تدريجي، لكنها كانت تفلت مني دون أن ألاحظ. أصبحت الأيام ثقيلة، كلما مرّ الوقت كان قلقي يزداد، كان شيء ما في داخلي يصرخ: "أين هي؟" ولكن لا جواب.

ركضت إلى نور، لعلي أجد عندها أي دليل يمكن أن يساعدني في معرفة أين اختفت تارا. قالت لي نور بصوت خافت، كان كأنها تحاول أن تخفي شيئًا: "تارا قالت لي إنها ستذهب

لتتأكد من شيء ما، ولم تخبرني بمكانها. قالت إنها سافرت خارج الوطن."

أصابني الكلام كالصاعقة، كأنني تلقيت ضربة قوية في صدري، ووقفت للحظات وأنا لا أستطيع استيعاب ما سمعته. لماذا اختارت أن تذهب هكذا دون أن تخبرني؟ لماذا قالت إنها سافرت دون أن أخبرها برأيي؟ لم أكن جزءًا من قرارها، ولم أكن أبدًا مستعدًا لفقدانها. تساءلت في نفسي: هل كان هناك شيء لم أفهمه؟ هل كان هناك سبب حقيقي وراء رحيلها المفاجئ؟ ولكن مهما كانت الأسباب، شعرت في أعماقي أن شيئًا ما قد تغير. شيء لا يمكنني تفسيره.
رغم كل ما مررت به من فقدان وألم، كانت الحياة تستمر. في البداية، كنت أظن أنني لن أتمكن من

العودة إلى طبيعتي أبدًا. فقد كانت الأيام الثقيلة تجلب لي المزيد من الحزن، وكلما حاولت أن أركز على شيء، كانت ذكريات أحمد وتارا تقاطعني بلا رحمة. لكن الحياة لا تنتظر أحدًا، وهي تعلمنا كيف نتأقلم مع الألم.

بدأت أعود إلى عملي، لأسترجع بعضًا من روتيني الذي فقدته. كنت أذهب إلى المستشفى يومًا بعد يوم، أتحدث مع زملائي، وأواجه التحديات التي كانت تبدو بلا معنى في السابق. كان العمل مثل ملاذ، يملأ الفراغ الذي تركه غياب أحمد وتارا.

لكن رغم أنني كنت أبدو طبيعيًا من الخارج، كان القلب ينزف داخليًا. كان شعور الغياب يعكر صفوي في كل لحظة. مع ذلك، قررت أن

أواصل، أن أستعيد قوتي، وأن لا أسمح لهذا الألم أن يحدد مستقبلي. كانت الحياة تمضي رغم كل شيء، وكان علي أن أتكيف، أن أجد طريقي وسط الظلام. كانت الأيام ثقيلة، لكنني تعلمت أن التكيف هو أقوى سلاح نملكه في هذه الحياة.

بينما كنت في المستشفى، جاءت إلي ممرضة وقالت لي بصوت هادئ، لكن محمل بالقلق: 'هناك حالة طارئة، مريضة حالتها ليست جيدة، وتحتاج إلى عملية عاجلة.' مدت لي ملف الحالة وأعطتني تفاصيل عن المريضة التي كانت بحاجة إلى تدخل جراحي سريع. كان من الضروري أن نضبط مستوى الدم وضغطها قبل إجراء العملية.

عندما توجهت إلى غرفة المريضة، كانت المرأة في غرفتها، تبدو في حالة ضعف شديد. في الخارج، كانت ابنتها جالسة بالقرب من الباب،

عينيها مليئة بالقلق. وكان زوجها، والد الفتاة ، يقف بجانبها، يحاول مواساتها وتهدئتها وسط الحزن الذي كان يسيطر على المكان.

بعد ذلك، عدت إلى المنزل متعبًا جدًا من العمل والمشاهد التي رأيتها. دخلت إلى غرفتي، ثم فجأة شعرت بالوهن الشديد. عندما جاءت عمتي إليّ، نظرت إلى وجهي وقالت: 'ماذا حدث؟ هل أنت بخير؟'

أجبتها بتعب: 'لقد كنت فقط متعبًا من العمل. لا شيء غير ذلك.' لم أرد أن أخبرها بكل التفاصيل، خاصة تلك القصة المؤلمة التي كانت تحملها تلك الأسرة.
مرت الأيام بشكل روتيني، كنت أستيقظ كل صباح، أذهب إلى المستشفى، أقوم بعملي، ثم

أعود إلى المنزل منهكًا. رغم انشغالي الدائم، كانت هناك لحظات قصيرة من الصمت تجعلني أفكر في أمور لم أكن أمنحها وقتًا من قبل، خاصة بعد غياب تارا.

في صباح ذلك اليوم، استيقظت مبكرًا كعادتي، ارتديت معطفي الأبيض وتوجهت مباشرة إلى المستشفى. كان أول ما خطر ببالي تلك المريضة التي كنت أتابع حالتها عن كثب. دخلت غرفة العناية المركزة بخطوات هادئة، مترددًا للحظة قبل أن أقترب من سريرها. كانت الأجهزة الطبية تواصل عملها، تصدر أصواتًا منتظمة مطمئنة. ألقيت نظرة على مؤشراتها الحيوية، ولاحظت أن مستوى الدم وضغطها أصبحا مستقرين. شعرت ببعض الراحة، وأدركت أن اللحظة المناسبة قد حانت.

استدرت إلى الممرضة بجانبي وقلت بصوت ثابت: "سنُجري العملية اليوم."

كان القرار واضحًا، لكن بداخلي كان هناك توتر خفي. رغم خبرتي في الجراحة، إلا أن هناك دائمًا شعورًا غير مفسر يرافق أي عملية معقدة، خاصة عندما تكون حياة إنسان على المحك.

مرت الساعات، ودخلت غرفة العمليات مستعدًا. ارتديت القفازات المعقمة، وقفت أمام طاولة العمليات، وتأكدت من أن كل شيء جاهز. بدأت العملية بتركيز تام، وكنت أتنفس بعمق مع كل خطوة أقوم بها. شعرت وكأن الزمن تباطأ، لكن بعد مجهود طويل، انتهت الجراحة بنجاح.

خرجت من غرفة العمليات وأخبرت الممرضات أن يضعن المريضة تحت المراقبة الحثيثة. كان الإرهاق يثقل جسدي، لكنني لم أشعر بالراحة إلا عندما سمعت إحدى الممرضات تقول لي بعد ساعات: "الحالة مستقرة، المريضة استفاقت من التخدير."

شعرت براحة غريبة، وكأن حملاً ثقيلاً قد أزيح عن صدري. بعد انتهاء جولتي، قررت الذهاب إلى غرفتها لرؤيتها والتأكد من حالتها بنفسي.

دخلت بهدوء، وكانت مستلقية على السرير، ملامحها شاحبة لكنها بدت واعية. نظرت إليّ بعينين مجهَدتين، وفجأة، رفعت يدها ببطء وأمسكت يدي بقوة غير متوقعة، وكأنها تتأكد أنني حقيقي.

قالت بصوت ضعيف لكنه محمل بالعاطفة:
"ابني... ياسر، هل أنت ابني؟"

تجمدت مكاني. شعرت أن عقلي توقف للحظة، وكأنني لم أستوعب الكلمات التي سمعتها.

ابني؟

فتحت فمي لأتحدث، لكن لم أجد الكلمات المناسبة. "نعم..." خرجت الكلمة مني دون وعي، فقط لأرى تلك الدموع التي تجمعت في عينيها، وابتسامة ضعيفة ترتسم على شفتيها.

قبل أن أستوعب ما يحدث، سمعت صوتًا آخر، صوت شابة يافعة، بدت في التامنة عشرة من

عمرها . كان وجهها يحمل ملامح رقيقة ، عيناها بنيتان واسعتان تعكسان دهشة مشوبة بالحذر وكأنها لم تصدق ما تسمعه . كانت تقف بجانب السرير، وقالت بصوت مرتجف: "أمي... هل هذا هو أخي الذي كنتِ تخبريننا عنه؟"

التفتُ إليها، وشعرت أن أنفاسي تكاد تتوقف. ماذا يحدث؟ كيف يمكن أن يكون هذا صحيحًا؟ نظرت مجددًا إلى المرأة المستلقية أمامي، والدموع بدأت تتجمع في عينيها.

في تلك اللحظة، أدركت أن حياتي على وشك أن تتغير إلى الأبد.

وصلت إلى المنزل وأنا أصرخ: "عمتي! أين أنتِ؟ عمتي!"
أجابت عمتي وهي تخرج من الغرفة: "أنا هنا، ماذا حدث لك؟"
قلت وأنا ألهث: "عمتي، كانت لدي مريضة حالتها حرجة. قمتُ بإجراء عملية لها. وعندما استيقظت، دخلت إلى غرفتها لأرى حالتها. فوجئت عندما بدأت تقول لي: 'أبي'. تمسكت بيدي وقالت: 'أنت ابني ياسر'. ثم ذكرت اسم أبي واسمك. عمتي، هل هي حقًا أمي؟"
أجابت عمتي بهدوء: "نعم، ياسر. هي أمك. تلك التي تخلت عنك عندما كنت صغيرًا. كانت ترغب

في الاستمتاع بحياتها، ولكنها ندمت على ما فعلته."
قلت وأنا أصر على رأيي: "لكن لماذا جاءت الآن؟ لماذا تعود بعد كل هذه السنين؟ لم تهتم بي طوال هذه السنوات، الآن تريد أن تكون جزءًا من حياتي؟ أنا لا أريدها، عمتي. لا أريدها في حياتي."

قلت وأنا أبتعد عن عمتي، شعور الحزن يغمرني: "كيف يمكنها أن تعود الآن؟ كيف تجرؤ على العودة بعد كل هذه السنين؟ أنا ، لا أستطيع أن أقبل بها في حياتي .عمتي، عندما كنت مريضًا، كنتِ أنتِ من كان بجانبي. أين كانت هي؟ أين كانت أمي حينها؟ لماذا لم تكن موجودة لتدعمني كما فعلتِ أنتِ؟ وعندما كان الأطفال يتنمرون

علي، كنتِ أنتِ من وقف بجانبي أيضًا. أين كانت هي في تلك اللحظات؟"

عمتي ردت بصوت هادئ ولكن كان هناك شيء من الحزن في كلماتها:
"لذلك، حاولتُ أن تذهب بعيدًا يا ياسر. لأنني كنت أعرف أنها ستبحث عنك يومًا ما. كانت ستعود إلى الوطن، وقد اتصلت بي، ولكن لم أرد أن أخبرك بكل شيء. أردت فقط أن تذهب دون أن تعارض. لأنني كنت أعرف أن هذا الموضوع سيؤثر عليك بشدة، ولن تستطيع أن تتحمل معاناته."

"عمتي، قررت أن أذهب إلى المستشفى وأواجهها. سأذهب إلى أمي، سأخبرها بما

أشعر به، وأسمع منها ما لديها لتقوله. يجب أن أعرف لماذا تركتني طوال هذه السنوات، ولماذا الآن تعود إلى حياتي."

عمتي (بصوت هادئ):
"هل أنت متأكد من قرارك، ياسر؟ مواجهة مثل هذه قد تكون مؤلمة."

"نعم، عمتي. يجب أن أفهم. ربما أستطيع أن أجد بعض الإجابات، ربما أستطيع أن أغلق هذا الباب الذي ظل مفتوحًا طوال هذه السنوات. لا أستطيع أن أعيش في الظلام بعد الآن."

عمتي (بتنهد):

"إذا كنت قد قررت، ياسر، فأنا هنا لدعمك. ولكن تذكر، مهما كانت الأسباب التي قد تقدمها لك، لا تقبل أي شيء دون أن تعرف ما الذي تشعر به أنت. ليس كل شيء سيبدو منطقيًا، ولا كل شيء سيكون سهلاً."

"أفهم، عمتي. ولكن عليّ أن أواجهها، عليّ أن أستمع إليها. سأذهب الآن، وسأعود بمجرد أن أتمكن من هضم كل ما سمعته."

في المستشفى..

دخلت إلى المستشفى، قلبي ينبض بقوة، وأصابني شعور غريب وكأنني لم أعد أعرف كيف أتصرف. كنت أقف أمام باب غرفتها، لا أعرف إذا كنت مستعدًا لهذا اللقاء أم لا. لكنني كنت بحاجة للإجابة. دخلت الغرفة بهدوء، فوجدتها هناك، جالسة على السرير، مستعدة لرؤيتي.

أمي (بلهجة هادئة):
"أنت هنا... ياسر؟"
"نعم، أنا هنا. يجب أن نفهم ما الذي حدث. يجب أن أفهم لماذا تركتني، لماذا غادرت حياتي ولم تعودي. أين كنتِ طوال هذه السنين؟"

أمي (بحزن):

"ياسر، أعرف أنني أخطأت. في ذلك الوقت كنت صغيرة ولم أكن أعرف كيف أتعامل مع الأمور. كنت أعتقد أنني لن أكون أمًا صالحة، لذلك قررت أن أبتعد عنك. لم أكن أظن أنني سأفعل ذلك، لكنني كنت في صراع داخلي."

"ولكن لماذا عدتِ الآن؟ لماذا تأتي الآن بعد كل هذه السنوات؟ هل تظنين أنني سأكون قادرًا على مسامحتك بسهولة؟"

أمي (بتنهد):
"كنت أخشى أن ترفضني، ولكنني ندمت على كل شيء. كنت أظن أنني بحاجة للعيش لنفسي، ولكن الآن أدركت كم كنت بحاجة

إليك. كنت أنت السبب في معاناتي، لكنني أريد أن أكون جزءًا من حياتك الآن."

"هل تعتقدين أنه بإمكاننا البدء من جديد؟ هل يمكن أن أصدقك بعد كل هذه السنين؟"

أمي (بتواضع):
"لا أطلب منك أن تسامحني الآن. لكنني سأبذل قصارى جهدي لأثبت لك أنني أستحق مكانًا في حياتك."

"أمي... لقد تحملت كثيرًا من الألم طوال السنوات الماضية، لكنني اليوم هنا أمامك، وقلب لا يحمل سوى الصبر والتسامح. سامحتكِ حقًا، رغم كل شيء. سامحتكِ على تخلّيكِ عني عندما كنت في

أمس الحاجة إليكِ، رغم أنكِ كنتِ جزءًا من الماضي الذي تركني أعيش فيه وحيدًا.

لكن، مع مرور الزمن، فهمت أن المسألة ليست مسألة ولادة فقط، بل مسألة وجود. الأم ليست فقط من تلد، بل هي من تربي، من تظل بجانب ابنها، ومن تكون له سندًا وداعمًا في أصعب لحظات حياته.

أنتِ اخترتِ أن تبتعدي عني، وأنا لم أكن أستطيع أن أعيش في انتظار عودتكِ. اليوم، أنا هنا بفضل أشخاص آخرين، الأشخاص الذين وقفوا بجانبي واعتنوا بي، وأنتِ لم تكوني بينهم.

لا أريدكِ أن تعودي إلى حياتي الآن، لم يعد هناك مكان لكِ هنا. عودي إلى المكان الذي جئتِ منه مع زوجكِ وابنتكِ، لتكوني حيث يجب أن تكوني.

أنا الآن لدي عائلتي الخاصة، هم من كانوا معي، وهم من سيبقون معي. هم من زرعوا فيّ معنى الحب والاهتمام. أنا الآن أعرف جيدًا ما هي العائلة، وأعرف قيمة الذين يساندونك ويقفون إلى جانبك في الأوقات الصعبة.

أتمنى لكِ التوفيق مع عائلتكِ الجديدة، ولكن لا مكان لكِ في حياتي الآن. سأعود إلى عائلتي التي تحبني، والتي كانت بجانبي دائمًا، وأعيش معهم كما يجب أن يكون. في النهاية، لا يمكن أن تُمحى السنين، ولكن يجب أن أتعلم كيف أعيش حياة جديدة، حياة مليئة بالحقيقة، والصدق، والحب."

مرت سنة كاملة منذ ذلك اليوم، وكل شيء كان قد تغير. أحمد، الذي كان شخصًا عزيزًا على قلبي، رحل عن الحياة بشكل مفاجئ. كنت قد فقدته في لحظة كنت فيها في أمس الحاجة إليه. كان الحزن يسيطر على قلبي، ورغم مرور الوقت، لم أتمكن من التخلص من شعور الفقد الذي تركه وراءه. كان أحمد شخصًا قويًا، ولا أستطيع نسيان كيف كان دائمًا بجانبي، خاصة في اللحظات الصعبة.

أما تارا، فقد اختفت عن حياتي دون أن تترك أي أثر. ذهبت إلى الخارج، فجأة ودون سبب مقنع. لا أعلم إلى أين ذهبت أو لماذا رحلت، لكنني لم أتمكن من إيجادها أو حتى التواصل معها. كانت الأمور بيننا قد انتهت دون كلمات وداع، وكانت تلك هي النهاية، التي لم أكن

مستعدًا لها. كان كل شيء يبدو غامضًا، وكلما حاولت فهم السبب وراء غيابها، تزداد الأسئلة بلا إجابات.

وأمّي... لقد مرت سنة على محاولاتها المستمرة للتقرب مني، لكنها لم تجد طريقًا إلى قلبي. رغم محاولاتها الاعتذار، كنت قد قررت أن أترك الماضي وراءي وأعيش حياتي بعيدًا عنها. لم أكن مستعدًا لقبولها في حياتي مجددًا، بعد كل ما فعلته بي. كانت هي من تخلت عني عندما كنت في أمس الحاجة إليها، وعندما كنت صغيرًا، تركتني في عالم من الوحدة والألم. لم يكن السبب مقنعًا بالنسبة لي، ولا أستطيع أن أسمح لها بإعادة ترتيب حياتي أو العودة بعد كل ما مضى.

في يوم الخميس، السابع عشر من شهر يوليو، لازلت أتذكر ذلك الصباح جيدًا. كنتُ جالسًا مع عمتي على مائدة الفطور، وكان والدي معنا أيضًا لأنه حصل على إجازة في ذلك اليوم، إضافةً إلى زوج عمتي. كنا نتبادل الأحاديث ونتناقش في مواضيع مختلفة، حتى قاطعنا صوت رنين الجرس.

نهضت عمتي لترى من الطارق، وسرعان ما سمعتُ صوت فتاة مألوف لدي. للحظة، تخيلتُ أنه قد يكون صوت تارا، لكنني سرعان ما

نفيت الفكرة. كيف يمكن لها أن تعود فجأة بعد سنة كاملة من الغياب؟ لم نتواصل خلالها أبدًا، بل حتى أنها حظرتني من جميع وسائل التواصل الاجتماعي. كنتُ قد اقتنعت بأنها اختفت من حياتي نهائيًا، لذا اعتقدت أنني أتخيل.

لكن فجأة، دخلت إلى المنزل برفقة عمتي، مترددة وخجولة، ووجهها متورد من الإحراج. لم يتغير شيء في جمالها، بل بدا لي أنها ازدادت إشراقًا. قبل سنة، كنتُ قد أدركت أنني أحبها، لكنني لم أجرؤ على الاعتراف بذلك خوفًا من خسارتها. ظننتُ أن الصداقة أكثر أمانًا من الحب، لكنني ندمت لاحقًا على عدم البوح بمشاعري قبل أن تختفي فجأة. والآن،

لم أكن لأدع الفرصة تضيع من يدي مرة أخرى.

استقبلتها عمتي بحرارة عندما أخبرتها تارا أنها جاءت لرؤيتي. جهزت لها الفطور، وعندما همّت عمتي بصب الشاي لها، بادرتُ سريعًا وقلت: "عمتي، تارا لا تحب الشاي، بل تفضل الحليب."

حينها، أدركتُ كم كنتُ غارقًا في تفاصيلها الصغيرة والكبيرة، أعرف ماذا تحب وماذا تكره. تساءلتُ في داخلي: "ماذا فعلتِ بي يا تارا حتى أصبحتُ لا أرى أي فتاة في هذا العالم سواك؟"

لكنني لاحظتُ شيئًا آخر، تارا لم تعد كما كانت. خلال تلك السنة، تغيّرت كثيرًا، أصبحت أكثر اجتماعية وانفتاحًا على الآخرين. ابتسامتها باتت عريضة تنبع من أعماق قلبها. وهنا، أدركت أنني وفيت بوعدي لها، أن أجعلها فتاة قوية قادرة على التعبير عن ذاتها. ربما كان هذا أصعب وعد قطعته على نفسي، لكنه كان وعدًا يستحق العناء. بين الوعد والوفاء، هناك قصص لا تُنسى.

عندما انتهينا من الفطور، طلبت مني عمتي أن أوصل تارا إلى منزلها. كان الطريق هادئًا، والصمت بيننا أبلغ من الكلمات. لم أكن غاضبًا، لكنني لم أعرف كيف أبدأ الحديث معها. وحين وصلنا أمام منزلها واستدرتُ للمغادرة، قطعت تارا الصمت قائلةً:

"ألا تشتاق إلي؟"

شعرتُ بمشاعري تتداخل، هل أخبرها أنني اشتقتُ إليها كثيرًا؟ أم أواجهها بمرارة الغياب؟ لكنني كنت أخشى أن أقول شيئًا يجرحها، لذا فضلتُ الصمت والمضي في طريقي.

لكنها تابعت، هذه المرة بصوت أعمق وأكثر جدية: "ألا تريد أن تعرف لماذا اختفيت لمدة سنة دون أن أخبرك بشيء عني؟"

توقفتُ في مكاني، ترددتُ للحظة، ثم قررتُ أن أسمعها. التفتُّ إليها وسألتها بنبرة غاضبة: "لماذا رحلتِ؟ لماذا اختفيتِ هكذا؟"

تنهدت، ثم قالت بصوت هادئ لكنه مشحون بالمشاعر: "اختفيتُ لأعرف نفسي أكثر... كنتُ خائفة من أن أجلس مع ذاتي وأواجه مشاعري. كل هذا يعود لطفولتي الصعبة، كنتُ دائمًا تلك الفتاة التي لا تدافع عن حقها، التي تخاف الاقتراب من الآخرين، والتي لا تستطيع الضحك بصدق. كنتُ أملك صديقة واحدة فقط، لولاها لا أعلم كيف كنت سأكون. لكن عندما التقيتُ بك، تغيّر كل شيء... أنتَ الذي جعلتني أرى الحياة بألوانها، أنت من علّمني أن أدافع عن نفسي، أن أضحك بلا خوف، أن أتقبل ذاتي كما أنا. وحينها، أدركتُ أنني أحببتك."

توقفتْ لوهلة، ثم أضافت: "لكنني كنتُ خائفة... لم أكن أريد أن أعترف بحبي لك، ثم

أكتشف لاحقًا أنه مجرد إعجاب زائل. لذا قررتُ أن أبتعد، أختبر مشاعري، وأتأكد مما أريده فعلًا. كنتُ أتألم، لكنني فضلتُ أن أتحمل الألم وحدي بدلاً من أن أجرحك. وها أنا اليوم، أقف أمامك وأعترف لك بكل شيء، لأنني أدركتُ أن الحب ليس عيبًا، بل يجب أن يُقال قبل فوات الأوان."

نظرتُ إليها طويلًا، ثم قلتُ بصوت متهدج: "أنا غاضب جدًا... رحيلكِ دون تفسير كان قاسيًا. لكن هل تعلمين شيئًا؟ حين اختفيتِ، أصبحتْ حياتي بلا لون. كنتُ أنتظركِ كل يوم، أتساءل ما إذا كنتِ بخير، ما إذا كنتِ ستعودين يومًا. كنتِ دائمًا في ذهني، وكنتُ أخشى أن أفقدك إلى الأبد. تارا... أنا أحبكِ،

وأريدكِ أن تبقي بجانبي دائمًا. أريدكِ أن تكوني حياتي."

ابتسمتْ والدموع في عينيها، ثم قالت: "وأنا سأكون بجانبك دائمًا... هذا وعد."

وبينما كان الليل يُسدل ستاره، رنّ هاتفي. كان اتصالًا من الشرطة، لقد ألقوا القبض أخيرًا على المجرم الذي قتل أحمد بعد سنة من اختفائه. شعرتُ براحة غامرة، وكأنّ العدالة قد استعادت مكانها. أخبرتُ عائلة صديقي فورًا، وذهبنا إلى المحكمة لمتابعة القضية. وعندما نطق القاضي بالحكم، بالسجن مدى الحياة، شعرتُ أن العدالة قد تحققت أخيرًا، وأن روح أحمد ستجد السلام.

مرت ثلاثة أشهر بعد كل ما حدث، وكنتُ قد اتخذتُ قراري أخيرًا. توجهتُ عند عمتي صباحًا، وقلتُ لها بابتسامة عريضة: "عمتي، أريد أن أتزوج من الفتاة التي أحبها."

تفاجأت عمتي وقالت: "من هي؟"

أجبتُها بثقة: "إنها تارا، وأريد أن نُقيم حفلة بسيطة في المنزل للاحتفال بخطبتنا."

ابتسمت عمتي بحنان وقالت: "تارا فتاة رائعة، تستحقك وأنت تستحقها... مبارك لكما، يا بني."

وفي المساء، التقيتُ بتارا في مطعم هادئ، أمسكتُ يدها وقلتُ لها مباشرةً: "تارا، هل تتزوجينني؟"

نظرت إليّ بدهشة، ثم انفجرت ضاحكة وقالت: "يا لك من غريب، تحدثتَ وكأنك تلقي خبرًا عاديًا! لكنني سعيدة جدًا... بالطبع أوافق!"

وهكذا، بدأنا فصلًا جديدًا من حياتنا، حيث لم تعد الأحلام مجرد وعود، بل أصبحت حقيقة نعيشها سويًا.

نظرتُ إلى تارا بعيني المليئتين بالامتنان والحب، ثم همستُ لها بلطف:

"والآن، أصبحتِ ملكي."

ابتسمتْ لي بابتسامة تحمل كل المعاني الجميلة، ثم ردّت بصوت دافئ:

"وأنتَ الآن كل ما أملك."

شعرتُ حينها أنني امتلكتُ العالم بأسره، فوجودها بجانبي كان أعظم هدية، والوعد الذي بيننا لم يكن مجرد كلمات، بل عهدٌ أبدي محفورٌ في قلوبنا.

وأخيرًا، حين نظرنا إلى المستقبل، كان لدينا يقينٌ واحد: مهما كانت التحديات التي قد تواجهنا في الحياة، سنبقى معًا، ولن يفصل بيننا شيء. كان الحب قد أسس لنا قاعدة قوية،

وحين اجتمعنا في عالم واحد، شعرنا أن أي شيء يمكن أن يتحقق.

كانت حياتنا، التي بدأت بتلك اللحظات الصغيرة البسيطة، قد أصبحت الآن قصة كبيرة، مليئة بالأمل والوعود. وكل يومٍ كان يمر كان يثبت لنا أن الوعد الذي قطعناه لبعضنا كان أساسًا متينًا لبناء مستقبل مليء بالحب، القوة، والصمود.

أحيانًا، عندما أتوقف وأفكر في كل من مروا في حياتي، أدرك كم أن هذه الحياة قصيرة ومليئة باللحظات التي لا تُنسى. أحمد، صديقي

الذي فقدته، كان أكثر من مجرد صديق. كان أخًا لم تلده أمي. كان يعلمنا كيف تكون الصداقة الحقيقية، كيف نكون مع بعضنا البعض في الأوقات الصعبة قبل السعيدة. كان دائمًا موجودًا عندما كنت في حاجة إليه، حتى عندما كانت الحياة تضع أمامنا اختبارات لا تعد ولا تحصى. كان يعلمنا أن الصداقة ليست مجرد كلمات نتبادلها، بل هي أفعال، هي تلك اللحظات التي نكون فيها مع بعضنا مهما كانت الظروف. لو كان أحمد هنا اليوم، لكان سعيدًا بما وصلنا إليه، لأنني أعلم أنه كان يؤمن بأننا سنظل معًا مهما كانت الصعاب.

لكن، بجانب أحمد، كان هناك أيضًا عمتي، التي كانت بمثابة الأم الثانية لي. لم تكن مجرد امرأة من عائلتي، بل كانت الشخص الذي لم

يبخل أبدًا بحبها ورعايتها. كانت سيدة قوية، تحمل في قلبها حبًا لا محدودًا، وابتسامتها كانت دائمًا تضيء المكان. كانت الأم التي لا تنام إذا كانت تعلم أنني بحاجة إلى شيء. كانت تعرف كيف تشعر بي من دون أن أحتاج للكلمات، كيف تنقض على قلبي عندما كان الحزن يعصره.

كانت دائمًا هناك في كل خطوة، تساندني وتدفعني للأمام حتى عندما كنت أظن أن الحياة لا تستحق العيش. كانت تبذل جهدًا لا يُحمد في سبيل راحتي، لدرجة أنني كنت أجد نفسي أحيانًا أستند إليها في أوقات ضعفنا جميعًا. كانت تلك الأوقات التي كنا فيها نواجه الحياة بكل قسوتها، كانت هي الوقود الذي جعلنا نستمر.

عندما كنت أغرق في دوامة الحزن، كانت هي الحبل الذي أنقذني. كانت تأخذني بين ذراعيها وتقول لي: "لا تقلق، أنت لست وحدك، أنا هنا من أجلك". كان صوتها أحيانًا هو كل ما أحتاجه للعودة إلى الحياة. لم تكن بحاجة إلى أن تقول أكثر من ذلك، كانت كلماتها تكفي لتشعل الأمل في قلبي.

لم تكن عمتي فقط تحبني، بل كانت تساندني في كل ما أفعله. حتى في أصعب الأوقات، كانت هي التي تبعث فيَّ القوة للقيام بكل شيء. كانت تفهم تمامًا كيف أنني كنت أشعر بالضياع بعد فقدان عائلتي، وكيف أنني كنت أحتاج إلى شيء يجعلني أستعيد إيماني بالحياة.

ورغم كل شيء، لم تتخلَ عني، بل كانت دائمًا معي في كل تحدٍ، مهما كانت الظروف.

كانت عمتي هي من تعلمنا كيف نكون أقوياء في الأوقات الصعبة. كانت تقدم لنا الحب غير المشروط والدعم الذي لا يعترف بالمستحيل. كانت تلك المرأة التي تزرع الأمل فينا حتى في أشد اللحظات قتامة. كانت بحق الأمان الذي لا ينتهي.

أما أبي، فقد كان هو النور الذي أضاء لنا الطريق. رغم قسوة الحياة وأيامها السوداء، كان دائمًا يؤمن بأننا سنجتاز كل شيء إذا كنا معًا. تعلمت منه أن الأسرة هي الحصن الذي

يحميك في أوقات الأزمات. كان يعلمنا أن القوة الحقيقية تأتي من الداخل، وأن الإنسان إذا كان صافي القلب، قادر على تجاوز كل التحديات. هو من علمني كيف أكون رجلاً، كيف أواجه الحياة وأكون قويًا حتى في أصعب اللحظات.

ثم هناك تارا، التي دخلت حياتي وكأنها حلم تحقق. لم أتخيل يومًا أنني سأجد شخصًا يشبهني في كل شيء، ويشعر بما أشعر به. تارا، المرأة التي كانت أكثر من مجرد شريك، كانت الأمل الذي يساعدني على النهوض كلما سقطت. كانت قادرة على فهم ألمي، واحتياجاتي، حتى عندما كانت هي نفسها تعاني. معًا، كنا نواجه العالم، ونبني حياتنا، ونعمل على تحقيق أحلامنا التي بدأناها من

تلك اللحظة التي نطقنا فيها بوعدنا الأول. واليوم، عندما أنظر إليها، أرى كل ما مررنا به معًا في عيونها. هي الرفيقة التي اخترتها، والتي أتمسك بها في كل خطوة.

كل واحد منهم ترك بصمته في حياتي، وكل واحد منهم علمنا درسًا مختلفًا في الحب والوفاء والقوة. لم تكن حياتنا مجرد سلسلة من الأحداث العشوائية، بل كانت رحلة مليئة بالاختيارات والتضحيات. من أحمد الذي علمنا معنى الصداقة، إلى عمتي التي قدمت لنا الحب والدعم، إلى أبي الذي أضاء لنا الطريق، إلى تارا التي أصبحت شريكتي في الحياة، كل منهم كان له دور كبير في تكوين ما نحن عليه اليوم.

واليوم، وأنا أعيش كل هذا، أدرك أن وعودنا لن تنسى أبدًا. ربما تكون هناك نهايات لقصص معينة، ولكن هذه النهاية التي أعيشها الآن هي بداية جديدة، بداية لأحلام جديدة ولحياة نكتبها معًا، بدون أن ننسى أبداً من كانوا معنا في الطريق.

النهاية.